رجل السماء

المهدي المنتظر في سورة القدر

السيد محمود الموسوي

رجل السماء

المهدي المنتظر في سورة القدر

السيد محمود الموسوي

محفوظة
جميع الحقوق

هوية الكتاب:

* الكتاب: رَجُلُ السّمَاء، المهدي المنتظر في سورة القدر.
* المؤلّف: السيد محمود الموسوي.
* الطبعة: الأولى: ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٤م.
* الإخراج الفني: الكليم جرافيك:

mohd.he@gmail.com
+973 36577227

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ
مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ
شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا
بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ
مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥

المقدّمة

المقدّمة

عندما تنفتح ببصيرتِك على سُورة القَدْر الشّريفة، فإنها ستقودك حتماً إلى مشاهدة حقيقة رجل السّماء، الإمام المهدي المنتظر (أرواحنا له الفداء) ماثلة متجلّية أمامك، وتراه مُشرِفاً على سكّان الأرض، تتنزّل عليه ملائكة الله العظام، بسجلّات الأقدار، بما يحدث في السّنة من خير وشر، وحياة وممات، وما يُكتب فيها من أرزاق، فهي سلام للعارف بالوجود الشريف للإمام المهدي المنتظر، والموقن بمحوريته الكونيّة، والمستمسك بعروته

كوسيلة إلى الله، في تغيير تلك الأقدار التي تُكتب برعايته ومباركته، حتى مطلع فجرها المبارك.

ولكي تكون ممن تشمله ألطاف الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) عمومـًا، وفي ليلة القدر بالخصوص، فتعال معي لنتدرّج في القول والبيان.

***

مِن أنصع الحقائق وأجلاها عند كافّة المسلمين على اختلاف مشاربهم المذهبية، هي الحقيقة المتمثّلة في هداية القرآن الكريم للمتقين، وتبصرته للمتفكّرين، وإنقاذه

للمتدبّرين، من خلال ما يشعّ في آياته البينات من نور، فالقرآن الكريم بهذا هو دليل الضالين في ظلمات الآراء، ونور المسترشدين في غياهب الأفكار، وعصمة المتحيّرين بين تجاذبات المسالك والمذاهب.

فعندما ينفتح الإنسان بعقله متدبّراً في آيات الذكر الهدي، وعندما يسبر غورها بتعقّل وتأمّل فطري، بعيداً عن ضوضاء المقولات الدخيلة والمسبّقات العليلة، فإنّه ينفتح على طريق هداه، فينال بذلك مناه في النجاة من غواية الفتن المتراكمة على طريقه، وتنقشع عن سمائه السحب المتلبّدة، فتعود إلى صفائها

ليرى الحقائق كما هي.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

لقد جعل الله تعالى آياته شاخصة ذات قابلية لِأنْ يعيها الإنسان، شريطة أن يُعمِل عقله ويتفكّر في دلائل الآيات، سواء كانت آيات كونية في الأرض والسماء، أم آيات قرآنية في كتابه العزيز، وجعل التدبّر في آياته القرآنية

(١) سورة النحل، آية ٤٤.
(٢) سورة الجاثية،آية ١٣.

مدخلاً رئيسـًا لوعي حقائق القرآن الكريم، فقال: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(١).

وقال عزّ شأنه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(٢).

وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾(٣).

بهذا النهج أُرسلَ النبي الخاتم محمّد ﷺ، الذي بُعث ليُخرج الناس من الظلمات إلى

(١) سورة ص، آية ٢٩.
(٢) سورة محمد، آية ٢٤.
(٣) سورة النساء، آية ٨٢.

النور، فتلى على الناس آيات القرآن احتجاجاً وإثارة لدفائن العقول، فدعاهم من خلال الآيات البيّنات إلى أن ينظروا لتلك الإبل التي تقطع بهم البراري، وأشار إلى الحركة الدائبة للشمس والقمر، وهداهم إلى زينة الكواكب والنجوم المرصّعة في السماء، وأَلْفَتَ نظرهم إلى ما يتحرّك في السماء من سحاب، وما يسطع فيها من رعد، وما يتسلّل من شمسها وقمرها من نور، وما يهطل منها من أمطار، ودعاهم لإجالة البصر فيما تُنبِت الأرض من شجر، وما يتفتّح في البساتين من أزهار، وما يتلوّن في الشجر من ثمار، وقد وجّه ألبابهم إلى ما يسبح في البحر من كائنات، وما يحتويه من كنوز ثمينة، ولحوم

طريّة، كلّ ذلك لكي يهتدوا إلى الله تعالى الخالق المُبدئ المصوّر، ليؤمنوا به ويوحّدوه حقّ توحيده، وقد فاز الكثير منهم بالهداية واعتمر الإيمان قلوبهم، ونجحوا في الدنيا وفلحوا في الآخرة، وكانوا خير أمّة أُخرجت للناس، كلّ ذلك بفعل هدي العقل وإثارته، وعلى هذه الطريقة وهذا المنهاج سار أهل بيت النبي الطاهرين عليهم السلام، فخاطبوا الناس بآيات القرآن الكريم ليوقفوهم على طريق الهداية لصلاح دنياهم ودينهم، ببصائر الوحي وشواهد التنزيل.

هلّا أردنا الهداية؟

وهل نحن جادّون في طلبها؟

إذا كانت الإجابة بنعم، وهي إجابة الإنسان العاقل المسؤول الذي لم تصرفه اللامبالاة إلى عوالم التفاهة واللّا معنى، إذاً -ونحن باعتبارنا مسلمين- لا ينبغي أن نخشى الانفتاح على القرآن الكريم، كما انفتح عليه العرب من قبل، ثمّ نقتفي سبيله ونتبع هداه، وهذا هو القرآن الكريم قد عبّر عن نفسه بقوله: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، وأنّه ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[2]، وأنّه ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾[3]،و﴿هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ

(١) سورة البقرة، آية ٢.
(٢) سورة الفرقان، آية ١.
(٣) سورة الجن، آية ٢.

﴿يُوقِنُونَ﴾[1].

ويبدو أنّ السؤال الأهم المعترض طريق انفتاحنا على القرآن الكريم، هو مشكلة الفهم والمنهج، كعائق يستدعي التوقّف عن سبر أغوار الآيات، والحفر في دلائلها، والكلام قد يكون كثيراً في هذا السياق، إلّا أنّ ما يشفع لدعوتنا في الانفتاح على كتاب الله متدبّرين، هو أنّ في القرآن آفاقًا واسعة، ومن آفاقه أنّه تبصرةٌ للقارئ الواعي، ودليلٌ للمتدبّر العاقل، في غير ما فُصّل من أحكام، وفيما عدى المتشابهات، فالطريق السليم في عدم التخبّط في وعي دلائل الآيات ليستلهم العقلاء منه الهدى، أن نقف

(١) سورة الجاثية، آية ٢٠.

عند المتشابهات ونُمسك عن الحديث فيها إلّا بعلمٍ من العالمِين بها والأمناء عليها، ونعتصم بالمحكمات من الآيات، ونمشي في ضوئها.

من خلال التدبّر في كتاب الله العزيز لا شكّ أنّ الله يفيض علينا البصائر التي تنتشلنا من شَرَك أوهام أفكارنا ومسبّقاتنا التي لم تؤسّس على أساس سليم، إلّا اتّباع الآباء وتقليد المجتمعات التي سبقتنا، فقد قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القُرءَانَ أَم عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقفَالُهَا﴾[1]، فإذا كانت على القلوب أقفالٌ فلا بدّ من فتحها أو كسرها، لأنّ كلّ فكرة تبعدنا عن التدبّر في آيات الله، هي فكرة مقيِّدة للإنسان، ولا يمكن

(١) سورة محمد، آية ٢٤.

لهذه الفكرة أن تنفع إلّا في المزيد من إطالة حبسه في تلك القيود، وما نتيجة ذلك إلّا المزيد من الضلال والتيه.

نعم، لقد أرسل الله تعالى نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وامتّد على نهجه أهل بيته الطاهرين عليهم السلام فكانوا قرناء القرآن، ومبيّنين لمناهجه، ومفسّرين لغوامضه، ولا يمكن فهم القرآن إلّا بتبيينهم، وقد حصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم طريق الهداية وعدم الضلال باتباع هدي القرآن ونور العترة معـًا، وأنّهما ثقلان لن يفترقا إلى يوم القيامة، إلّا أنّ هذا لا يمنع من استنباط الهدى من الروايات أو الآيات منفردة بمقدار يحقّق الهداية الأساسية للإنسان، أي أنّ القرآن يمكن أن يقود إلى حقّ

النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحقّ أهل البيت عليهم السلام وولايتهم في جهة العقيدة والأسس العامّة، ثمّ بعد تحقّق الإيمان بهم عليهم السلام فإنّ المُنفَتِح على القرآن الكريم سيزداد هدى وبصيرة في تفاصيل دينه من خلال بياناتهم في التفسير، ومن خلال ما أرسوه من قواعد لوعي منطق القرآن وفتح مغالقه وتبيان غوامضه.

ومن تلك القواعد، قاعدة الفهم الدلالي للّغة التي نزل بها القرآن كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[1]، وعلى ذلك جرت سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام في مخاطبة الناس بدلالات القرآن العربية وتتبع

(١) سورة يوسف، آية ٢.

سياقاته المتصلة وإحكام متشابهاته بالسياقات المنفصلة، وهذه القاعدة هي قاعدة عقلية عرفية، إذ لولاها لانتفى الاحتجاج بالقرآن على مسائل الإيمان العامة، ولانتفى التذكير بالقرآن والتنبيه بآياته المباركة، ولكانت إشارات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام إلى الآيات في جهة احتجاجهم وتعليمهم النّاس، لغواً والعياذ بالله.

ومن أهم الموضوعات التي يمكن الاستدلال عليها من القرآن الكريم، هو موضوع الولاية لأهل البيت عليهم السلام، وما يتعلّق بإثبات مكانتهم الرّبانية، وبيان مستوى قيادتهم للنّاس في دنياهم ودينهم، فكانت هناك آيات

كثيرة قد نزلت فيهم وفي حقّهم، وآيات يُستدل بدلالاتها على مكانتهم وعصمتهم، بل وموضعهم من الرسالة الخاتمة، بصفتهم أئمّة هداة عصمتهم محقّقة، وطاعتهم مفروضة على كلّ مسلم دان بدين الإسلام، وبذلك النوع من الآيات احتجّ أهل البيت عليهم السلام على حقّهم وحقيقتهم، وقد اقتفى العلماء سبيلهم في الاحتجاج على المخالفين، فأحجّوهم وأسكتوا إشكالاتهم، وأبانوا لهم الطريق.

ففي القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تفيض معنى في الاعتقاد بولاية أهل البيت عليهم السلام، أو تبني جانبًا في صرح إمامتهم، أو تعالج إشكالاً عند مخالفيهم، ومن تلك

الآيات والسور، سورة القدر المباركة، إذ إنّ لها دلالات بالغة الأهمية في ترسيخ الإمامة، بل وفي إثبات الوجود الشريف لإمام زماننا الحجة بن الحسن المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

تجلّي الولاية في سورة القدر

ومن هنا سنسعى لاستيضاح دلالات الآيات القرآنية في سورة القدر المباركة، لكي نستجلي حقيقة الولاية وحقيقة الوجود الشريف والمستمر لخاتم الأوصياء بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

نحن ندّعي أنّ لسورة القدر جانبًا مهمًّا ومحوريًا في مسألة الإمامة لأهل البيت عليهم السلام،

ومن شأنها أن تعرّف بالمعتقد الشيعي الإمامي في الولاية المستمرّة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وضرورة اتصال العلاقة بالسماء بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبذلك جاءت روايات عديدة تبيّن الحقائق من آياتها، بل وقد دعا الإمام الباقر عليه السلام الشيعة لأن يخاصموا الآخرين بسورة القدر ودلالاتها في شأن حقّ أهل البيت عليهم السلام.

فقد جاء في الكافي: عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: **«يَا مَعْشَرَ الشِّيعَةِ خَاصِمُوا بِسُورَةِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ، تَفْلُجُوا، فَوَاللهِ إِنَّهَا لَحُجَّةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الْخَلْقِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَإِنَّهَا لَسَيِّدَةُ دِينِكُمْ وَإِنَّهَا لَغَايَةُ عِلْمِنَا»**[1].

(١) الكافي، ج١، ص٢٤٩.

وهذا يعني أنّ في سورة القدر كنزٌ من الدلالات ما يمكنها أن تهدي المتخلّفين عن ولاية أهل البيت عليهم السلام، بحيث تقودهم إلى الإيمان الحقيقي بولايتهم الإلهية، ليعتنقوها ويرفلوا في خيرها الربّاني.

وهذه الرواية التي أوردناها وغيرها، لم نسقها لتكون احتجاجاً على الآخرين، لأنّهم بكل بساطة لا يؤمنون بإمامة قائلها الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام، فكيف يأخذون بكلامه، إلّا أنّ عرضنا لكلامه -نحن الآخذين بحجزته والمنتهلين من عذب هداه- هو عرضٌ يوقفنا أمام تحدٍّ كبير، إذ عند انفتاحنا على التدبّر لآيات السّورة المباركة سيحقّق

لنا كلام مولانا الإمام الباقر عليه السلام، ويضعنا أمام رهان الحقيقة، ولأنّ أهل البصائر في حقّ أهل البيت عليهم السلام لا يخشون المحاورة بالتي هي أحسن، ولا يهربون من الحقائق في المُعتَقد، فإنّهم بكلّ ثقة بإيمانهم يتقدّمون نحو إثبات حقّ أهل البيت عليهم السلام بسبلٍ شتّى، لأنّ الحق طريقه أبلج واضح، وعلاماته وآياته كثيرة، لِتُلقى الحجّة البالغة على سائر المسلمين.

ولسورة القدر الشريفة آثار ونسمات غيبية في شأن الاعتقاد بالولاية لأهل البيت عليهم السلام، وذلك عندما يقرأها المؤمن ألف مرّة في ليلة القدر، فإن اعتقاده بأهل البيت عليهم السلام يزداد ويقينه يتعمّق.

رُوِيَ عَنْ أَبِي يَحْيَى الصَّنْعَانِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: لَوْ قَرَأَ رَجُلٌ لَيْلَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أَلْفَ مَرَّةٍ، لَأَصْبَحَ وَهُوَ شَدِيدُ الْيَقِينِ بِالاعْتِرَافِ بِمَا يَخُصُّ بِهِ فِينَا، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِشَيْءٍ عَايَنَهُ فِي نَوْمِهِ[1].

رجل السّماء

إضافة لكون سورة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ مورد احتجاج لهداية الآخرين لحقّ أهل البيت عليهم السلام، وتبصرتهم بما تثبته من ضرورة الولاية الإلهية المتصلة بالسماء، فهي ثروة في الحقائق، ومنبع دلالي للمؤمنين بإمامة أهل البيت عليهم السلام، فتعمّق

(١) تهذيب الأحكام (تحقيق خرسان)، ج٣، ص: ١٠١.

إيمانهم بالولاية، وتغذّي إيمانهم بالاتصال بإمام زمانهم الحجّة المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، لأنّه هو الرّجل الذي تتنزّل عليه كلّ الموارد الحكيمة في ليلة القدر من السماء، فهو رجل السماء المقدّس، الذي يعزّز في المؤمنين عند ملاحظة هذه الحقيقة ضرورة الارتباط به، ويبعثهم للتأمّل في خارطة حياتهم السنوية، فيلاحظوا السَّنة التي تصرّمت من حياتهم، فيسألوا الله تعالى غفران الذنوب، وسدّ ما نقص فيها من الأعمال الصالحة، وإصلاح فاسدها، وإقامة المعوجّ منها، لأنّ ليلة القدر هي محطّة الفغران، ومنطلق الإصلاح.

قال أبو جعفر عليه السلام: «**فَضْلُ إِيمَانِ الْمُؤْمِنِ بِجُمْلَةِ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ وَبِتَفْسِيرِهَا عَلَى مَنْ لَيْسَ مِثْلَهُ فِي الْإِيمَانِ بِهَا، كَفَضْلِ الْإِنْسَانِ عَلَى الْبَهَائِمِ**»(١).

كذلك فإنَّ المؤمن ينتفع بدلالات سورة القدر عبر تطوير آماله برجائه لفيوضات الله تعالى لِسَنَتِهِ التي يستقبلها، لأنّ الآمال التي تُرجى من الله تعالى إنّما تُقدّر في ليلة القدر العظيمة، ولا يكون ذلك إلّا من خلال الحبل الممدود بين الأرض والسّماء، وهو إمام العصر والزّمان، وسيّد ما يقدّر وما يُكتب على الناس في تلك الليلة، وأنّ كلّ ما يحدث في الحياة من شؤون الكون في السّنة القابلة، إنّما هو مسجّل في طيّات

(١) الكافي (ط - الإسلامية)، ج١، ص: ٢٥١.

الكتاب الذي يُنزّل على قلب رجل السماء وإمام الزمان فيها عجل الله تعالى فرجه الشريف.

بقي أن أُأَكّد على أنّ تعاطينا مع سورة القدر في الدلالات العَقَدية الولائية، لا يعني حصر دلالاتها في هذا الموضوع، ولا يعني تخطئة التفسيرات المتنوّعة للسّورة الشريفة، لأنّ آيات القرآن الكريم عميقةٌ ذاتُ آفاقٍ متعدّدة، يصدّق بعضها بعضـًا، وتجري كالشمس في تجدّدها، والآية الواحدة يمكنها أن تداوي العديد من أسقام الحياة، وتبني العديد من صروح المعاني في مختلف الجهات.

وقد حاولتُ في هذه الأسطر المعدودة أن

أركّز الحديث على الدلالات المرتبطة بالوجود الشريف للإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، والتركيز على الدلالات المرتبطة بأصل الموضوع في سورة القدر الشريفة، وذلك لما رأيت من وجود الإرث الثمين في تراث أهل البيت عليهم السلام في هذا الشأن، مع شحّ التناول له في مجمل التفاسير.

وأودُّ أنْ أُنوِّهَ إلى أنَّ فكرة تسطير هذه الكلمات قد انبَثَقَت بين جدران السجن في بداية عام ٢٠١٤م، وكتبت مجمل التدبّرات في غياهب زنزانته، مع شحّ المصادر، ورثاثة الخاطر، فجريت نحو تحقّق غاية البحث في أن أستظهر دليل الولاية وإشارات الوجود المقدّس للإمام

المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، فشرعت في التدبّر المباشر في كتاب الله العزيز، فأنهيته في فترة وجيزة، ثمّ بعد مرور عشر سنين كاملة، كان فيها البحث متوسّداً إخوته، قد أيقظته وقمت بإعادة تنضيد حروفه، وإضافة شيء من الأفكار مع رصد الروايات الشريفة الصادرة عن أهل البيت عليهم السلام في هذا الشأن، وضممتها إليه كقسمٍ ثانٍ.

وقد أسميته (رجل السماء)، لقول الله تعالى عن أهل البيت عليهم السلام: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ. رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ**

فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[1]، فهم الرجال في الآية، وهم أهل السماء، نسبة للاصطفاء الإلهي، ونِسبة الاتصال بالسماء.

أسأل الله تعالى أن أكون قد وُفّقت ولو لليسير من هدي كتاب الله العزيز في شأن وليه الأعظم عجل الله تعالى فرجه الشريف.

السيد محمود عدنان الموسوي

بني جمرة، البحرين

فجر ليلة القدر الشريفة

١٤٤٥هـ

(١) سورة النور، آية ٣٦-٣٧.

القسم الأوّل

الدلالات الولائيّة والمهدويّة

في سورة القدر

سورة القدر
بين إنزال الرّسالة وتنزّل الولاية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾.

نشرع بقوّة الله تعالى وعونه، في التدبّر والتفكّر في آيات سورة القدر الشّريفة، من أجل استجلاء حقيقة الولاية وحقيقة الرَّبط بين الأرض والسّماء من خلال رجل السّماء وإمام الزّمان، بداية متسلسلة عبر التدبّر في

آياتها من بدايتها وحتى نهايتها، استظهاراً وتحليلاً لسياقاتها المُتَّسقة مع موضوع البحث.

وما يظهر لنا في أوّل الأمر، كإطار عام للسّورة، وحبل ممتدّ يشدّ أوّل السّورة بآخرها، أنّ هناك مَشهَدين في السّورة المُباركة، وهما:

(الأوّل) مشهد الإنزال، والآية المعبّرة عنه في السّورة ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ**﴾ في أوّل السّورة، وسنطلق عليه الإنزال الرسالي.

(الثاني) مشهد التنزّل، والآية المعبّرة عنه في السّورة ﴿**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ**﴾ في الآيات التالية،

وسنطلق عليه التنزّل الولائي.

ومن خلال هذين المشهدين والبحث في تفاصيلهما الدقيقة، ومن خلال متابعة بصائر دلالاتهما، ستتجلّى أمامنا حقائق الولاية الإلهية وحقيقة الوجود الشريف لإمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف بكلّ وضوح.

المشهد الأوّل
الإنزال الرّسالي على رسول السماء

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ

تحمل الآية الأولى من سورة القدر في طيّاتها الكثير من الدلالات الظاهرة والخفية، التي يمكن إبرازها من خلال البحث الدلالي في كتاب الله العزيز، وبهذه الآية يبدأ المشهد الأوّل وهو المشهد المرتبط بالإنزال الرسالي، أي إنزال رسالة السماء إلى الأرض المتمثّلة بكتاب الله، القرآن الكريم، ولكي نستجلي الحقائق من هذا المشهد المبارك، لا بدّ أن

نحلّل الآية تحليلاً دقيقـًا عبر التدبّر في كلماتها وتتبع دلالاتها.

(إنّا) عظمة الفاعل

لقد جاء الحرف ﴿إِنَّا﴾ المؤكّد، للتأكيد على حقيقة مهمّة، والخطاب فيه الدال على الجمع راجع إلى الله تعالى، وهو المتكلم بكلامه العزيز في كتابه الحكيم، فيكون الخطاب بـ﴿إِنَّا﴾ هو خطاب تعظيم للذات المقدّسة، وليس خطاب اشتراك، لأنّه خطاب الله تعالى الواحد الأحد في إنزال رسالته إلى البشرية، ويمكن أن يزيد السياق في إزاحة الإبهام وإبعاد

التوهّم الذي قد يظنّه البعض من أنّ ﴿إِنَّا﴾ تدلُّ على أنَّ للهِ شريك في فعله وإنزاله، بأنّه ذكر في نهاية السّورة تنزّل الملائكة والروح بإذن ربّهم جلّ جلاله وعلى شأنه.

وإن كان لمعنى الاشتراك ملابسة كما يشير بعض المفسّرين، فإنّ فهمها لا بدّ أن لا يتعارض مع عقيدة التوحيد وحقيقة الفعل الإلهي الإرادي، فتُحمل صيغة الاشتراك على أنّه سبحانه يشير إلى فعله الناشئ من إرادته بتوسّط الملائكة الذين يأمرهم بالإيصال، وهو ما دلّت عليه آيات عديدة، حيث يقول تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ

اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[1].

وقال عزّ وجلّ: ﴿الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

وبذلك يصبح لدينا التأكيد على مُعطيَين مهمَّين في هذه الكلمة وهذه الإشارة، وهما:

(١) أنّ الله تعالى هو الفاعل.

(٢) أنّ الفاعل عظيم.

---

(١) سورة الحج، آية ٧٥.

(٢) سورة فاطر،آية ١

ومن دون شكّ أنّنا إذا عرفنا أنّ الفاعل هو الله عزّ وجلّ فقد عرفنا بالذات أنّه عظيم، إلّا أنّ عظمة الله تعالى مجملة، قد يشعرها الإنسان بالإجمال، أو قد يغفل عنها في هذا السياق، فيكون التعبير بالجمع التعظيمي من أجل استشعار بل استحضار تلك العظمة الإلهية في بداية سياق الحديث عن المشهد الأوّل، كأمر تذكيري وتفصيلي أمام القارئ والباحث، وهذا الأسلوب نجده في كتاب الله الحكيم عند مخاطبة المؤمنين في استعماله أدوات التنبيه والتذكير، كالقسم والنداء ووصف الفعل قبل حكايته وما شابه ذلك.

إذاً الفاعل هو الله العظيم سبحانه وتعالى، وهذا يعطينا دلالة واضحة بأنّ صناعة المشهد الإلهي الأوّل هي صناعة عظيمة، وهو مشهد عظيم، لأنّه لا يصدر من العظيم إلّا العظيم.

﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ حقيقة المنْزَل

تبيّن الآية أنّ الفعل العظيم الذي أوجده الله عزّ وجلّ هو الإنزال، أي أنّه فعلٌ مِن الله تعالى، وهذا الفعل يضعنا أمام مشهدٍ رابطٍ لا بدّ أن نلحظه في البَين، وهو أنّ الله تعالى أنزل أمراً ما، والإنزال يكون من العالي إلى الداني، وهذا يعني أنّ إنزاله لأمرٍ إلى جهة ما، وهي خَلْقه،

وهو شيء دلّ عليه الضمير في أنزلناه، فما هو هذا الشيء المُنزَل؟

إنّ الضمير في ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ عائدٌ على كتاب الله العزيز المُنزَل مِن الله تعالى، وهو القرآن الكريم، على ذلك أجمع المفسّرون، وهو الصحيح لعدّة قرائن؛ منها القرينة الذّاتية في أصل الحديث باعتباره كلاماً من القرآن الكريم فتكون الإشارة إليه عند عدم ذكر أيّ شأنٍ آخر، وقرينة الإنزال التي جاءت بها آيات أخرى للتعبير عن إنزال القرآن الكريم، وآيات تعبّر عن ظرف إنزاله وهو ليلة القدر وهو نفس سياق هذه الآيات في سورة القدر، وقد عنت كلّها القرآن الكريم في الإشارة إلى إنزاله.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1].

وقال جلّ وعلا: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3].

إنّ القرآن الكريم الذي أُنزل من ربٍّ عظيمٍ، إنّما نزل لغاية عظيمة، وهي لكي يكون منهاج

(١) سورة البقرة، آية ٩١.
(٢) سورة البقرة، آية ٩٩.
(٣) سورة يوسف، آية ٢.

هداية للبشرية، يدلّها على الطريق السوي، وحبل إنقاذ ينتشلها من حَيرة الضلالة، الضلالة التي تداهم حياة الناس لتغويهم وتدفعهم إلى طرق معوجّة لا تقودهم إلّا إلى الهاوية، وهذه الرسالة للقرآن هي أعظم أهدافه وأسمى غاياته، ومن دونه لا يمكن أن يكون الإنسان على الطريق الصحيح.

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾[1].

(١) سورة الإسراء، آية ٩.

وقال جلّ شأنه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[2].

إنّ حقيقة الهداية الشاملة التي يحويها الكتاب المُنزل، تتعلّق بمستقبله ومستقبل البشرية، وهو ما يحقّق سلامة نهجها، ويبلّغها سعادتها الدنيوية والأخروية، وعلى ذلك تكون

(١) سورة الحج، آية ١٦.

(٢) سورة الإسراء، آية ٩.

المادة المُنزلة في المشهد الأوّل هي مادة الهداية الشاملة، وهذه الحقيقة التي نروم تسليط الضوء عليها، ستتعلّق بمادة الإنزال في المشهد الثاني في سورة القدر الشريفة، لأنّ القرآن الكريم هو الرسالة الخاتمة، فلا يوجد إنزالٌ لرسالة جديدة بعده، وعلى ذلك سوف يتعلّق الإنزال الثاني في السّورة بنفس الإنزال الأوّل كامتدادٍ له، ومحقّقٍ لغاياته، كما سنشير فيما بعد.

المُنزَل عليه (رسول السماء)

لم تأتِ سورة القدر على ذكر الجهة التي أُنزِل القرآن الكريم عليها، بل لم تذكر حتى

ضميراً يعود عليها، واكتفت بذكر فعل الإنزال، وجهة الفعل بالخطاب ﴿إِنَّا﴾ العائد على الله عزّ وجلّ، والكتاب العزيز من خلال الضمير في ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾، إلا أنّ الحقيقة المهمة في سياق تحقّق هذا المشهد أنّه لا يمكن تصوّر هذا المشهد العظيم دون أن يكون له وعاء عظيم نزل عليه الكتاب العزيز، ولا يشكّ مسلم في أنّ نزول القرآن الكريم إنّما كان على النبي الخاتم محمّد بن عبد الله ﷺ، إيذاناً ببدء الرسالة، فهو خاتم النبيين وسيد المرسلين، أنزله الله تعالى عليه لينذر الناس به، ويحكم بينهم به، ويهديهم به، وهو رسالته التي تلاها على الناس كي يؤمنوا برسالته الخاتمة.

قال تعالى في بيان ذلك:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَٰكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[2].

إنّ الحقيقة التي لا بدّ أن تستوقفنا في مشهد الإنزال الأوّل المتعلق بالرّسالة، هي وجود شخصية أُنزلت عليها الآيات، وهذه الحقيقة

(١) سورة الأحزاب، آية ٤٠.
(٢) سورة إبراهيم، آية ١.

وإن كانت واضحة، إلّا أنّها ستنفع في القسم الثاني من البحث، المتعلّق بالتنزّل الولائي في آخر السّورة، ولذلك سوف نستجلي البصائر من هذه الحقيقة هاهنا على هيئة نقاط، ثم سنذّكر بها هناك.

١- إنّ إنزال الكتاب هو إيذانٌ بالرسالة، وإنزال الرسالات إنّما يتم على قلب بشر، والشخص البشري في هذا الإنزال هو النبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، كما أنزل الله تعالى الرسالات كافّة على الأنبياء من قبله، وحتّى أولئك الذي حاولوا أن يتجاوزوا حقيقة المُرسَل البشرية، وطلبوا من الله تعالى أن ينزّل عليهم مَلَكاً رسولاً، لم يستجب الله لهم طلبهم، لأنّه شذوذ عن السُّنّة الإلهيّة

الجارية في خلقه، فهو عزّ وجلّ لم يرسل الرسل البشر إلى الملائكة، إنّما أرسلهم إلى بشر أمثالهم، وبذلك تُحكم الحجّة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا. قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا. قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ. لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. مَا نُنَزِّلُ

(١) سورة الإسراء، آية ٩٥.

﴿الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ﴾[1].

فالحقيقة الثابتة هي أنّ الرسالات إنّما تُنزل على شخص بشري موجود على الأرض، وهو ينبض بالحياة، ويأكل كما يأكلون، ويمشي في الأسواق كما يمشون، فيتلقّى الرسالة طواعية، ويقوم بأداء مهامّه الموكلة له من الله تعالى.

٢- إنّ إنزال الرسالات لا يكون إلّا عبر واسطة أمينة تضمن وصولها وسلامتها دون أدنى تغيير، وواسطة الإنزال في هذا المشهد من سورة القدر لم تُذكر في الآية، إلّا أنّها تُعرف من حقيقة المقام، وقد عبّرت آيات عديدة عن أنّ مقام

(١) سورة الحجر، آية ٨.

النبوة وإيصال الرسالة وتبليغ الوحي من الله تعالى على أنبيائه، إنّما يُجريه الله عبر الملائكة، وهم الرسل الأمناء الذين لا يعصون الله ما أمرهم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ. مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ- نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ-عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ- بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[2].

وقال عزّ وجلّ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ

(١) سورة التكوير، آية ١٩ -٢١.
(٢) سورة الشعراء، آية ١٩٢ - ١٩٥.

﴿وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾[1].

٣- إنّ رسول السماء الذي أُنزلت عليه الرسالة لا بدّ أن يكون ذا كفاءة، قادراً على حمل ما حُمّل من مسؤوليات عظيمة، ولهذا اختاره الله تعالى لهذه المهمّة العظيمة، وعلى ذلك يكون الشخص المُنزَل عليه ذا علاقة وثيقة بالمادة المُنزَلة، والتي هي هنا تمثّل (الرسالة)، بحيث يعلم ما فيها ليبلّغها للناس بكل دقّة، إضافة إلى ذلك فإنّ مواصفاته النفسية قادرة على تحمّل مشاقّ تأديتها، فأهمّ حقيقة في هذا السياق هي أنّ الشخصيّة المُنزَل عليها مِن قِبَل الله تعالى لا

(١) سورة فاطر، آية ١.

شكّ أنّها شخصية ذات مواصفات ربّانية ضامنة لإيصال الرسالة ولا تميل عنها قيد أنملة.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾[1].

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[2].

(١) سورة النساء، آية ١٥.
(٢) سورة الأنعام، آية ٩٢.

وقال جلّ شأنه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَٰكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[1].

٤- وتترشّح بعد كلّ ذلك أمام أنظارنا حقيقةٌ مهمّة متعلقة بالمؤمنين، وهي ضرورة الطاعة والالتفاف حول هذا الشّخص صاحب الرّسالة السماوية، فكلّ مَن يتعلّق بالرسالة لا بدّ أن يتمسّك بحامل الرّسالة، فهو القائد الذي تكون طاعته هي طاعة الله تعالى، كما قال عزّ شأنه: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[2].

(١) سورة الأحزاب، آية ٤٠.

(٢) سورة النساء، آية ٨٠.

فالمُنزَل عليه هو الحجّة مِن قِبَل الله تعالى فيما يتصل بالمضمون المُنزَل، والمُنزَل هنا هو القرآن الكريم الذي هو رسالة للبشرية جمعاء، وهو مادة الدّين الذي يهيمن على الدّين كلّه، فحجّية النّبي صلى الله عليه وآله وسلم هي حجّية بسعة الرسالة التي نزلت عليه، أي متصلة بالأزمان كافّة ولكلّ البشر إلى يوم الدين.

الظرف الزماني للإنزال (ليلة القدر)

تحدّثت السّورة عن الإنزال الإلهي للرّسالة الخاتمة بأنّه حصل كحدثٍ مهمٍّ في زمنٍ مهمٍّ، وهذا الزمن هو (ليلة القدر)، حيث قال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، ثمّ قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ بيانـًا لعظمتها التي لا يمكن أن تكون محلًّا لإدراك البشر لو خلّو مع عقولهم وهي تتأمّل وتتعقّل كنه الزمان، فلن تبلغ كنهها ومدى عظمتها، والطريق الوحيد لبلوغ معرفتها وإدراك عظمتها هو طريق الوحي الذي يخبر به الله تعالى، عالِم الغيب والشهادة، فيقول في معادلة تقريبية للأذهان البشرية إنّ ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ

﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، ليسرح الفكر في استيعابها من خلال امتداده في وعي الزمان الذي يمكن للإنسان أن يتحصّل فيه الخير والفضل، من الشهور التي جعلها الله تعالى مواقيت للناس، فهذه الليلة هي أفضل من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، أي أنّها أفضل من ٣٠ ألف ليلة مجتمعة.

وعندما قال إنّها (خَير) فهي لا تساوي ذلك العدد الكبير من الليالي، بل هي أفضل منها، من غير أن يحدّد ما هو الحدّ الذي تتفوّق به ليلة القدر عن ذلك العدد، وهذا التفوّق يمكن تعقّله في ناحيتين:

الأولى: أنّ الأفضليّة في جهة العنصر، أي أن كنهها أفضل من سائر الليالي مجتمعة، فهي وعاء نوري مبارك كما وصفها الله تعالى في آية أخرى ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ**﴾[1]، وهذه البركة لتكون وعاء لنزول الكتاب (المبارك) على الرجل (المبارك)، وهذا يفضي إلى نتيجة أنّ الإنزال الرّباني للرّسالة السماوية تتكامل البركة فيه، كالمشهد يتكامل في جميع عناصره، فالقرآن الكريم كتاب الله الهادي للعالمين، الكتاب المقدّس، وهو كلام ربّ العالمين وخطابه لهم، لا بدّ أن ينزل في زمن مناسب له في العظمة، وقد هيّأ الله ليلة القدر

(١) سورة الدخان، آية ٣.

لتكون ذلك الوعاء الكوني المبارك.

الثانية: وكلمة (خَير) تفتح أمامنا باباً واسعاً على رحمة الله تعالى التي لا تنضب، ورأفته التي لا تنفد، وعطاياه غير المحدودة، ويضاعف فيها لمن يشاء، فيمكن من خلال ليلة القدر أن يترقّى الإنسان المؤمن إلى سنام المجد الربّاني، ففيها القابليات التي من شأنها أن تجعل الإنسان يخرق الحجب وصولاً إلى معدن العظمة، وينال أعالي الدرجات، وقد هيّأها الله تعالى للناس لتكون نافذة إلى رحمته الواسعة، كما كانت منزلاً لهدايته الكبرى.

الليلة المباركة

إنّ ليلة القدر هي إحدى الليالي في أفضل الشهور عند الله تعالى وهو شهر رمضان المبارك، فكانت هي ليلة مباركة أيضاً بنوع مضاعف، حيث بركة الله، وبركتها الذاتية، ثمّ بركتها بإنزال القرآن فيها، وقد أشار القرآن الكريم بأنّ القرآن أُنزل في شهر رمضان كما في قوله عزّ شأنه:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ

﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

وقد وصف الليلة التي نزل فيها القرآن الكريم بأنّها ليلة مباركة، في قوله تعالى:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾[2].

وبذلك نقف أمام ثلاث معطيات تعرّفنا حقيقة الوعاء الزماني الذي نزل فيه القرآن الكريم، كتهيئة كونية لنزول كلام الله تعالى وكتابه المجيد، وهي:

---

(١) سورة البقرة، آية ١٨٥.

(٢) سورة الدخان، آية ٣.

» أنّ إنزال القرآن الكريم تم في شهر رمضان.

» أنّ إنزاله تحقّق في ليلة مباركة.

» أنّ إنزاله كان في ليلة القدر.

» فليلة القدر هي الليلة المباركة في شهر رمضان المبارك.

النزول الدفعي والمنجّم

لقد أخبرت الآيات أنّ القرآن الكريم نزل في شهر رمضان، وتحديداً في ليلة القدر المباركة، وفي ذات الوقت لقد ظهر لكافة المسلمين أنّ آيات القرآن وسوَره المباركة كانت تنزل

على النبي ﷺ منجّمة طوال ثلاث وعشرين سنة قضاها النبي ﷺ بين ظهراني المسلمين، وكانت الآيات تحاكي في نزولها الأحداث، وتتفاعل مع الوقائع طيلة تلك السنين، كما يتضح من الآية التالية:

﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[1].

وقد أطلقوا في علوم القرآن على تلك الأحداث مسمّى أسباب النزول، وهي في الحقيقة ليست سببًا كما نعرفه في شأن السببية

(١) سورة التوبة، آية ١٢٤.

التي تلابس العلّية في الحدوث، بحيث إذا لم يكن ذلك الحدث لم تنزل الآية، كلا، بل هي مناسبة للنزول، بحيث يكون الحدث تأويلاً لأحد معاني الآية.

الذي يعنينا في الأمر، كيف نوفّق بين ما يظهر من سورة القدر وغيرها، بأنّ نزول القرآن الكريم كان في ليلة القدر، وبين ذلك التنزّل الذي عاصره المسلمون حينها، والمستمر طيلة سنين بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

لقد قيل إنّ نزوله في ليلة القدر يعني بداية نزوله، وتلك الليلة المباركة إنّما كانت مفتتحاً وإيذاناً بالنزول المبارك للقرآن الكريم، وعلى

ذلك يصدق القول بأنّه نزول فيها، وقد قيل إنّ القرآن نزل إلى البيت المعمور أو إلى سماء الدنيا.

وهذا لا ينافي ما قيل بأنّ نزول القرآن الكريم كان حقيقة في ليلة القدر كما هو ظاهر الآية، وقد نزل دفعة واحدة أو نزل كاملاً في تلك الليلة المباركة، إلّا أنّه نزول على قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصّة، ثمّ كان النزول الظاهري الذي يتناسب مع الوقائع والأحداث، حتى أنّ بعض الآيات نزلت في أكثر من حادثة.

وقد يشير إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَىٰ قَلْبِكَ

﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[1].

إضافة إلى أنّ مهمّة الإنذار والتبليغ التي أُوكلت للنبي ﷺ منذ بداية البعثة الشريفة، تقتضي أن يكون النبي ﷺ عالمًا عارفًا بكلّ تفاصيل القرآن الكريم، كي لا تتضارب الأحكام والتعاليم، فصفة القرآن الكريم أنّه يصدّق بعضه بعضًا، وليس في آياته اختلافٌ وتضادّ.

وقد أمر الله تعالى المسلمين بأن يطيعوا النبي ﷺ وجعل طاعته من طاعته، ولذلك كانت السنّة النبوية الشريفة هي منار هداية للناس، وهي متكاملة مع القرآن الكريم وعِدله، فلا اختلاف بين ما قاله وسَنّه النبي ﷺ في أوّل

(١) سورة الشعراء، آية ١٩٢ - ١٩٥.

بعثته، وبين ما قاله وسَنّه في أوسط وآخر بعثته، وهذا برهانٌ ساطعٌ على أنّ النبي ﷺ كان على هدى من ربّه فيما أُنزل إليه، وهو مؤمنٌ به كلّه وعارفٌ بجميع آياته، لينذر به ويبلّغ تعاليمه بشكل محكم يعضد بعضه بعضاً.

ولهذا لو قلنا بأنّه نزل في البيت المعمور دفعة واحدة في ليلة القدر، فلا يتعارض مع القول بأنّه نزل على قلب النبي ﷺ في البيت المعمور، فالمحصّل أنّه نزل على النبي ﷺ بأجمعه في ليلة القدر.

خلاصة المشهد الأوّل

لقد تلخّص من بحث القسم الأوّل من سورة القدر المباركة أنّ الله تعالى قد هيّأ الظرف الزماني وبارك فيه، وحدّده في ليلة القدر المباركة، ليكون ظرفاً لإنزال القرآن الكريم وكلامه المجيد على نبيه الكريم محمّد بن عبد الله ﷺ، وأنّ المَلَك الذي نزل بالقرآن هو مؤتمنٌ على إيصال الرسالة من الله تعالى إلى نبيه ورسوله ﷺ، لضمان السلامة التامّة.

وأهمّ ما ينبغي استظهاره في المشهد الرسالي الأوّل في سورة القدر، ممّا سيساهم في الفهم الأفضل للمشهد الثاني من السّورة، هو:

أ- أنّ الإنزال هو فعلٌ إلهي بإرادة إلهية، ومن ذلك اكتسب عظمته وأهميته ومحوريّته.

ب- أنّ هناك طرفان مهمّان في عملية الإنزال، وهما المُنزِل، والمُنزَل عليه.

ج- أنّ المُنزَل عليه هو شخصية بشرية مقدّسة ومباركة متناسبة مع المشهد الإلهي العظيم، وعلى ذلك فهي الصلة بين الأرض والسماء.

د- أنّ تلك الشخصية المقدّسة تتمتّع بالكفاءة اللازمة لحمل الرسالة، وهي حيّة تُرزق لتستقبل الرسالة بتمامها وكمالها.

المشهد الثاني:
التَّنزّل الولائي على رجل السماء

﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ، سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾.

لم يُسدل الستار في سورة القدر الشريفة عن المشاهد التي تصوّر لنا العلاقة بين السماء والأرض في وقائع الإنزال، فبعد أن أنبأتنا عن أعظم إنزال إلهي للقرآن الكريم على النبي العظيم، في مشهد تجلّل بالعظمة وتكلّل بالنجاح، وأسفر عنه صبح الهداية، حيث أشرقت الأرض بنور النبوّة والرسالة، حتى بدأت تحكي لنا مشهداً آخراً لا يقلّ أهمية

عن الأوّل، مشهدٌ جديدٌ في العلاقة بين السماء والأرض، مشهدٌ يمثّل التقدير الإلهي والرعاية الإلهية لأهل الأرض.

وقد بدأت السّورة هذا المشهد بآية (تتنزّل) بعد أن قد بدأت المشهد الأول ب (أنزلناه)، وهذا المشهد الثاني هو التنزّل الولائي المتعلّق بولاية الله تعالى وولاية أوليائه في أرضه، وعند التدبّر في الآيات المباركة ستتكشّف أمامنا حقائق قد لاحت بوادرها في المشهد الأوّل بنحو إجمالي، وها نحن نشرع في التفصيل في المشهد الثاني، استظهاراً له واستبانة لمعالمه، وهو المشهد الذي يُعتبر المحور الذي ابتغينا

إثباته واستظهاره من الآيات الشريفة في شأن رجل السماء الحاضر في كلّ زمان، الرجل الإلهي الذي يُكمل المشهد الإلهي في سياق تعزيز مهمّة رسول السماء في المشهد الأوّل.

الإذن الإلهي في المشهدين

أوّل حقيقة نودّ التأكيد عليها ببيان لا يقبل الشكّ والريب، لتكون الصورة ناصعة في الوضوح بارزة في دلالتها، محكمة في دليلها، هي حقيقة التماثل الحقيقي بين المشهد الأوّل في سورة القدر، والمشهد الثاني منها، وهي أنّ كلا المشهدين المقدّسين منسوبان للفعل

الإلهي ومقترنان بالإرادة الإلهية وفقاً لحكمة الله في خلقه عزّ شأنه، وهذا التماثل هو مقتضى نسبة الفعل لله تعالى في أوّل السّورة ب ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾، والتصريح في التنزّل الثاني بأنّه ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾، وعلى ذلك فإنّ الاهتمام بالحدَثين هو اهتمامٌ واحدٌ لا يقبل التجزئة، فليس الأوّل على نحو الوجوب والثاني على نحو التخيير، كلا، بل هما مِن سنخ واحد، تَكَوَّنا بفعلٍ حكيمٍ من الله تعالى.

هذه الحقيقة لا نريد لها أن تغيب عن خلد القارئ، ولا يُسمع لأي رأي يمكنه أن يخدش نصوعها، لأنّ الاهتمام البالغ والتطلّع

المسؤول سينشأ بسبب التأكيد عليها، فإنّ الله قد أذن بإرادته أن يتكوّن المشهدان الإلهيان، وأذن بحكمته أن يتّصلا فعليـًا بدِينه وبخَلقِه.

اتصال المشهدين

من أهمّ النتائج التي لا بدّ أن نلاحظها في العلاقة التماثلية بين المشهدين الإلهيين، أنّ بينهما علاقة برسالة السماء، وهذه العلاقة ليست تماثل تقابل كرسالة جديدة غير رسالة الإسلام، لأنّ الإسلام خاتم الأديان حتى يرث الله الأرض ومَن عليها، بل هي علاقة تكامل وامتداد لنفس الرسالة الإسلامية التي ابتدأت

بنزول القرآن الكريم على النبي محمّد ﷺ، وستستمر حتّى يهيمن هذا الدين على الدين كلّه وعلى الأرض كلّها، وحتّى يقوم الناس للقيامة بين يدي الله الواحد القهّار، فالنتيجة الواقعية التي تُفهم من أصل الاشتراك بينهما في الإذن الإلهي، هي أنّهما مرتبطان بالرسالة السماوية، وبمعنى آخر، مرتبطان بالعلاقة بين السماء والأرض.

وهذه النتيجة سوف نتبصّرها تدريجياً بشكل وثوقي عبر التدبّر في آيات المشهد الثاني في سورة القدر، وستُسفر عنها بنحو تفصيلي، على الرغم من أنّ المعنى الإجمالي واضحٌ في

بيان حقيقة التماثل والترابط بين المشهدين، ولكننا سندرج على التفكّر في الآيات ونحاول استخراج كنوزها وسنتتبّع ما يترشّح من تفاصيل مهمّة منها.

ليلة القدر الظرف الزماني:

بعد أن بيّنت سورة القدر عظمة ليلة القدر الشريفة التي هيّأها الله تعالى تهيئة كونية لنزول القرآن الكريم، تابعت عرض المشهد الثاني في التنزّل، بأنّه واقع في نفس تلك الليلة العظيمة وهي ظرفه الزماني معبّرة عنها بكلمة (فيها)، ويمكن أن نقف على بعض الدلالات السياقية.

إنّ سياق الإخبار عن وقوع المشهد الثاني -بعد ذكر عظمة ليلة القدر التي لا يمكن أن يدركها الإنسان إلّا عبر الوحي الإلهي، وأنّها خير من ألف شهر- أعطى القارئ نوعـًا من التقدّم المعرفي، وهذا التقدّم يحصل بعد أن رفع الاهتمام بالظرف الزماني الشريف، ليتنبّه القارئ فيما بعد بكلّ ما يمكن أن يقع في هذا الزمان، لأنّ وقوعه بإذن الله فيه يعني أنّ هناك حدثـًا عظيمـًا سيقع فيه.

وبتعبير آخر، لقد ذكرتْ السّورة الإنزال الرسالي بداية، ثمّ بيّنتْ عظمة الزمان الواقع فيه، وتتابعـًا لمستوى الوعي في فهم عظمة

الزمان المقترن بنزول القرآن وبما فيه من خير عظيم، ذكرتْ حدثـًا جديداً قد أذن الله تعالى له أن يحدث، وهذا تدرّج في علوّ المعرفة، ولا شكّ أنّ ذكر الحدث الثاني سيضيف للقارئ المزيد من الإيمان، كما فتح أبصاره على الإيمان بالرسالة من قبل.

نقف أمام حقيقة جديدة هي أنّ المشهد الثاني الذي تُخبر الآيات عن وقوعه في ليلة القدر المباركة، هو أيضـًا بذلك القدر الكبير من الاهتمام مِن قِبَل الله تعالى في مادة البركة، أي أنّه حدثٌ مباركٌ، والحدث المبارك لا يتوقّف نفعه على زمان دون زمان، فلم يكن محصوراً

في نفعه على قوم دون آخرين، إنّما ينشر بركته على المسلمين كافّة في كلّ الأزمان.

إذاً إنّ اشتراك المشهدين في ليلة مباركة واحدة، يقود إلى المزيد من الاهتمام بكلّ ما يجري فيها، ويدعو لتتبع الأحداث الكونية المتصلة بالله تعالى التي تحدث فيها، من أجل تكامل إيمان الإنسان، ومن أجل اكتشاف البركات لكي يستنزلها من الله تعالى.

العناصر الأساسية في المشهد

لقد ظهر لنا من خلال التدبّر في المشهد

الأوّل أنّه احتوى على عدّة عناصر أساسية هي التي أظهرت معالمه، ومن خلالها اتضحت قداسته، ولذلك فعند تتبع المشهد الثاني الولائي من نفس السّورة، لا بدّ أن نتتبع نفس العناصر الأساسية التي كانت كوّنت المشهد الأول، والتي استظهرناها من خلال ظواهر اللفظ ومن خلال السياقات القرآنية والضرورية، لأنّ المشهد الثاني الولائي يتكوّن من نفس العناصر، وهذا التتبع يمكنه أن يساهم في المزيد من وضوح المشهد ونصوع حقيقته.

وقبل ذلك لا بدّ أن نذكّر بتلك العناصر في المشهد الرسالي الأوّل، وهي خمسة عناصر:

الأوّل: المُنزِل، وهو الله عزّ وجلّ، وقد عرفنا ذلك من خلال نسبة الإنزال إلى المتكلّم وهو الله عزّ شأنه.

الثاني: أداة الإنزال، وهم الملائكة حَمَلَة الوحي، متمثّلة في جبرئيل الأمين عليه السلام، وقد عرفنا ذلك من الضرورة القرآنية.

الثالث: المُنزَل، وهي المادة المنزلة المتمثّلة في القرآن الكريم، والمشار إليها بضمير الهاء في (أنزلناه)، وعَضَدَت ذلك الضرورات القرآنية في آيات أخرى.

الرابع: المُنزَل عليه: وهو النبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم،

وقد عرفنا ذلك من الضرورات القرآنية والواقعية المتسالمة.

الخامس: الظرف الزماني، وهو زمان وقوع الحدث، وهو ليلة القدر الشّريفة، وقد عرفنا ذلك من تصريح الآيات في نفس السّورة المباركة.

وعند تتبع نفس العناصر ستبرز أمامنا حقائق جديدة إضافية، لأنّ المشهد مغاير عن المشهد الأوّل، حتّى لو اشترك معه في بعض العناصر، لكنّ دلالاتها السياقية مختلفة، وهذا الاختلاف هو الذي يجعله مشهداً ثانياً، فلا بدّ أن نتعرّف على خصائصه، ومن خصائصه ستتكشّف

لنا معاني الولاية وضرورتها ومعنى الوجود الشريف لإمام الزمان ورجل السماء عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ليلة القدر، الزمان المتجدّد

نشرع في بيان العناصر الأساسية للمشهد الولائي في سورة القدر بالظرف الزماني، لأنّ السّورة جعلته رابطًا بين المشهدين، حيث أسدلت الستار على المشهد الأوّل بالإخبار بأنّه وقع في ليلة القدر، ثمّ تابعت فصول المشهد الثاني كحدث يقع في نفس الليلة.

وهذا التسلسل سينفعنا كثيراً في بيان

الاختلاف بين كُنْه المشهدين، وسيثير في عقولنا التساؤلات بكلّ إلحاح لمعرفة موضوع هذا المشهد وشخصيته الأساسية.

إنّ السؤال الأهم هو هل أنّ ليلة القدر المقصود حدوث تنزّل الملائكة فيها في المشهد الثاني، هل هي ليلة واحدة في التاريخ، أم أنّها تتحدّث عن حقيقة ليلة القدر كزمان متكرّر متجدّد يطرق أبواب الناس في كلّ عام في شهر رمضان المبارك؟

إنّ إجابة هذا السؤال هي المدخل الأساسي لفهم ماهيّة الحدث الإلهي في المشهد الثاني، وما يتبع ذلك من دلالات تدخل في صلب

المعتقد الإسلامي، وهي الحقيقة القرآنية التي قد كانت مغيّبة عن الكثير من المسلمين الذين يتلون هذه السّورة كثيراً في حياتهم، إلّا أنّهم لم يتنبّهوا لما تحمله في طيّاتها من دلالات لا بدّ أن تضيف إلى معتقداتهم ما يكمّلها، لتكون عقيدتهم عقيدة كاملة لا يعتريها خلل أو نقص.

نقدّم النتيجة بين يدي القارئ قبل التسلسل بذكر الأسباب، فالنتيجة هي أنّ ليلة القدر المقصود حدوث المشهد الثاني فيها، هي الليلة الواقعية المتكرّرة في كلّ سنة، وليست ليلة قدر بعينها، ولكن كيف نستظهر هذه الحقيقة بالغة الأهمية؟

يمكن التأكيد عليها من خلال عدّة قرائن مهمة جداً، وهي:

١- القرينة التي حدّدت تعيّن ليلة القدر في الإنزال الأوّل (القرآني) غائبة عن المشهد الثاني، فلقد عرفنا ضرورة أنّ إنزال الله تعالى للقرآن كان على النبي محمّد ﷺ، وهذا المشهد قد حدث تاريخياً بالفعل، وقد أنزله الله، وبالحق نزل كما أراد سبحانه وتعالى، وقد انتهت فصوله فيما بعد، انتهت بإكمال مهمة الإنزال القرآني التامّ، برحيل النبي ﷺ عن دار الدنيا، وبذلك أكمل الله الدين، ورضي لعباده الإسلام ديناً.

إذاً، ليلة القدر هي ليلة تتكرّر في كلّ عام،

إلّا أنّها في المشهد الأوّل قد تعيّنت في واحدة تأريخياً لمناسبة الحدث الذي وقعت فيه، وهذا التعيّن لم يتوفّر في المشهد الثاني، فتبقى دلالة الليلة على حالها دون تغيير، وهي الزمان المتكرّر في كلّ عام.

٢- دلالة التنزّل في قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾، تفيد الاستمرار، لفعل التنزّل المضارع، فأصله تتنزّل، وهو يفيد استمرار فعل التنزّل، وذكرت الآية كتأكيد أنّ هذا التنزّل يقع (فيها)، أي في ليلة القدر أيضاً، فلم يقل (نَزَلَتْ) أو (أنزلنا) كما ذكر في الآية الأولى في التعبير عن الإنزال

القرآني الذي يناسبه فعل الماضي لتحقّقه فعلاً في ليلة قد مضت، إلّا أنّ المشهد الثاني يتكرّر دائماً في كلّ ليلة قدر تمرّ على الإنسان، حيث تتنزّل الملائكة والرّوح فيها كخاصية متعلقة بالليلة.

٣- إنّ التعبير بـ ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾، جاء في سياق التعريف بليلة القدر، وليس حكاية عن حدث يقع فيها مرّة أو أكثر، كما ذُكر في المشهد الأوّل في إنزال الرسالة القرآنية، بل إنّ السّياق القرآني هو سياق تعريفي بكُنْه وخاصّية ليلة القدر المباركة، وممّا تحمله من بركات وخصائص

دائمة إنّها خير من ألف شهر، وأنّ فيها تتنزّل الملائكة والروح، وهذا يعني أنّ المشهد الثاني هو مشهد متعلّق ببركة الليلة وفضلها، وهو أحد مكونات فضلها وعظمتها الذي لا ينفكّ عنها، وهذا يدلّ كذلك على أنّ المقصود من ليلة القدر التي تتنزّل الملائكة فيها هي المستمرة ما استمرّ الزمان.

إذاً النتيجة المهمّة في تحديد الليلة هي أنّ هذا الحدَث يتكرّر بشكل دائم، لقد تكرّر فيما سبق، وهو متكرّر، وسيتواصل في التّكرار في كلّ عام، ولم يشذّ شاذّ من المفسرين من مختلف

المذاهب الإسلامية على قبول هذه النتيجة[1]، وهذا يرفع درجة الاهتمام والإثارة، فنحن نعيش زمانـًا يقع فيه حدثٌ مقدّسٌ، حدثٌ نابعٌ من الإرادة الإلهية، فلا بدّ أن نسعى لاكتشافه، لأنّ الإنسان المسلم معنيٌّ بكلّ فعل إلهي، خصوصـًا إذا كان متعلّقـًا بموضوع الاتصال بين السماء والأرض.

(١) جاء في الدر المنثور في التفسير بالمأثور: أخرج أبو داود والطبراني عن ابن عمر قال سُئل رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم وأنا أسمع عن لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فقال: هي في كلّ رمضان. واخرج محمد بن نصر عن سعيد بن المسيب أنّه سُئل عن لَيْلَةِ الْقَدْرِ أهي شي كان فذهب أم هي في كلّ عام؟ فقال: بل هي لأمّة محمد ما بقي منهم اثنان. ج٦، ص٣٧٢، وغيره.

﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ﴾

لقد عرفنا أنّ أحد العناصر في المشهد الأوّل، هم الملائكة أمناء الله تعالى إلى أنبيائه، وبالرّغم من عدم ذكرهم في الآيات من سورة القدر، إلّا أنّ آيات أخرى أكّدت هذه الحقيقة، ولكننا نفاجأ في المشهد الثاني من السّورة أنّه ذكر الملائكة بشكل صريح، بأنّها تتنزّل في هذه الليلة، وقد علِمنا ممّا سبق أنّ الملائكة هم رُسل الله تعالى إلى أنبيائه، فالمقصود في هذه الآية هم الملائكة حقـًا، وليس خلقـًا آخر يشترك معهم في اللفظ ويختلف في المعنى، لذلك ذكرهم بألف لام التعريف (الملائكة)

أي أنّهم المخلوقات المعروفة عهداً لديكم.

وقد يحتَمِل مُحتَمِل أنّ المقصود هم ملائكة من نوع آخر، كالملائكة الموكلة من الله تعالى بتدبير الكون؛ كإنزال المطر وسَوق الرّياح وأخذ الأرواح وتوزيع الأرزاق وما شابه ذلك، وهي التي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم بقوله: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾، وقوله: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾.

إلّا أنّ هذا الاحتمال سرعان ما يتلاشى إذا التفتنا إلى أنّ سياق ذكر الملائكة وتنزّلهم في ليلة القدر، هو سياق ذكر شرف الليلة وخصوصيتها، وبيان مغايرتها عن سائر الليالي،

فلا يصح أن يكون المقصود هي الملائكة المدبّرة، لأنّها في عمل دائب في كلّ زمان، وكلٌّ منها يقوم بما قرّر الله له من عمل في الأرض أو في السماء.

والرّوح

وما يزيد في التأكيد على أنّ الملائكة المقصودة هي رسل الله تعالى إلى الأرض بنحو خاص، أي الذين يقومون بإيصال رسالة خاصّة من الله تعالى إلى خلقه، كالتي تنزل على أنبيائه، هو ذكر (الرّوح) في قوله ﴿**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا**﴾، وهذا يعطي مشهد التنزّل مهابة

إضافية، فهي تتنزّل كوفد عالي الشأن يتقدّمها الروح، وهو المخلوق المخصوص برجال السماء ورسل الله إلى أهل الأرض.

وسواء كان المقصود من الّروح هنا هو جبرئيل لقول الله تعالى ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ**﴾ أو كان المقصود هو مخلوق أعظم من الملائكة وهو ليس منها، لما يفيده العطف بعد الملائكة من مغايرة عن الملائكة، وهو الرأي الأنسب، فسواء كان هذا أو ذاك، فإنّ الدلالة العامّة واحدة في مطلوبنا لبيان حقيقة تنزّل الملائكة والرّوح تنزّلاً خاصّاً مميّزاً لليلة القدر عن غيرها من الليالي.

وأفضل إجابة عن الرّوح بما يؤكّد دلالتها الأمرية من الله تعالى والتي لا تنزل إلّا برسالة خاصّة، هو قول الله تعالى في سياق الحديث عن القرآن الكريم:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

وعلى ذلك يثبت عدم صحّة أيّ رأي ينزع إلى أنّ خاصية نزول الملائكة والرّوح في ليلة القدر الشريفة التي جاء السياق القرآني لتعظيمها ولبيان فرادتها، أنّها خاصية عادية مشابهة لسائر الليالي من نزول الملائكة بالمهام العامة التي

(١) سورة الإسراء، آية ٨٥.

تجري في كلّ زمان، بل هي ملائكة يتقدّمها الروح بشأن أمري بالغ الأهمية.

التنزّل على رجل السماء

بعد ثبوت تنزّل الملائكة والرّوح في كلّ ليلة قَدْر من كلّ عام في شهر رمضان المبارك، تبقى الحقيقة الكبرى التي تشرئب لها الأعناق، وتترقّبها العقول، وتهتزّ لها القلوب، وهي الإجابة على السؤال التالي:

على مَن تتنزّل الملائكة؟

قد يُعرِض البعض عن مواجهة هذا التساؤل، لاعتقاده أنّ الملائكة لا تتنزّل إلّا على النبي ﷺ، وقد رحل ﷺ عن دار الدنيا، فلا معنى لنزولها حقيقة على أحد بعده، ولكن الصحيح أنّه لا نبي بعد نبي الإسلام محمّد ﷺ، لأنّه خاتم الأنبياء والمرسلين، ولكن تنزّل الملائكة متعلّق بالله عزّ وجلّ، وهو الذي ينزّلها على من يشاء من عباده، كما نزلت على مريم بنت عمران وخاطبتها، كما في قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ

﴿وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[1].

فالمتدبّر المتحرّر من الأغلال والمسبّقات هو الذي يقرأ بصائر القرآن ويبني عليها معتقداته، لا أن يجعل مسبّقاته أساساً يعطف عليها آيات كتاب الله تعالى ويلويها عن هديها الحقيقي، فكما أنّ الملائكة قد أنزلها الله تعالى على مريم ولم تكن نبية من الأنبياء، وقد خاطبتها وأوصلت لها رسالة ربّ العالمين، لتكون من الصفوة المختارة والمطهّرة المفضّلة على نساء العالمين، فإنّه من الممكن أن يُنزّل الله عزّ شأنه الملائكة على رجال قد اصطفاهم

(١) سورة آل عمران، آية ٤٢-٤٥.

وطهّرهم وفضّلهم على رجال العالمين، ولا يكونوا أنبياء لختم النبوّة، وإنّما يكونوا رجال السماء، اصطفاهم الله وطهّرهم وجعلهم امتداداً وتعزيزاً للرسالة الخاتمة.

والحقيقة القرآنية الثابتة خصوصاً في تنزّل الملائكة والرّوح، أنّها شأن إلهي، وراجعة لإرادته، وقد عبّرت آية أخرى في كتاب الله هذه الحقيقة، بقول الله عزّ وجلّ:

﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾(١).

(١) سورة النحل، آية ٢.

فحقيقة وجود رجل السماء الذي تتنزّل عليه الملائكة، هي حقيقة ثابتة لا تقبل التأويل، ولا يمكن الفرار منها بسبب بعض المعتقدات التي يعتقدها بعض المذاهب، بل لا بدّ أن تعزّز فكرة وجود رجل السماء، لأنّ الملائكة لن يُنزلها الله تعالى في كلّ عام إلى الأرض دون جدوى، وبلا رسالة يتلقّفها أحد من أهل الأرض، فإذا لم يكن هناك رجلٌ من رجال الله تعالى الذين يصطفيهم ويطهّرهم، فإنّ تنزّل الملائكة لن يكون له ذلك الشأن الذي تذكره سورة القدر، خصوصاً إذا عرفنا المادة التي تتنزّل بها إلى الأرض، كما سيأتي.

فإن أنزلها على بشر عادي، فلا ضمان للرّسالة ولا للمضمون، وكما أنّ البداهة القرآنية بل والعقلية، تؤكّد على أن يكون المُرسَل إليه من الرجال المأمونين على المادة المُنزَلة، كما أكّدنا ذلك في الحديث عن الإنزال الرسالي الأول في السّورة المباركة.

وقد اضطربت آراء المفسّرين حول تناول هذه الحقيقة، فأكثر مفسّري العامّة قد تجاوز هذه الدلالة ولم يتعرّض لها أصلاً، وقد ساق بعضهم آراء كثيرة على نسق (قيل وقيل) ولا أرضية علمية لقبول أيّ رأي منها، فمنها أنّ نزول الملائكة هو

نزول إلى السماء الدنيا وليس إلى الأرض، ومنها أنّ نزول الملائكة على ملائكة أخرى وهي الملائكة المسؤولة عن التدبير، ومنها أنّ نزولهم هو نزول تشريفي على المؤمنين وهم يصلّون ويتعبّدون في ليلة القدر[1].

ومن أغرب النتائج أنّ بعض المفسرين يرى أنّ نزول الملائكة وجبرئيل هو نزول على المؤمنين، كلّ فرد فرد، مع استنكارهم لفكرة أنّ الملائكة وجبرئيل ينزلون على بشر بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولعلّ هذا نابع من أصل ثبوت فكرة أنّ نزولهم لا بدّ أن يكون إلى الأرض وأهل الأرض، كفكرة ضرورية تفيدها دلالة الآية.

(١) راجع روح المعاني، للآلوسي، ج١٥ من ص٤١٥.

وفي نفس السياق يقول الفخر الرازي في تفسيره، تغليباً لرأي نزول الملائكة إلى الأرض: «**لأنّ الغرض هو الترغيب في إحياء هذه الليلة، ولأنّه دلّت الأحاديث على أنّ الملائكة ينزلون في سائر الأيام إلى مجالس الذكر والدين، فلأن يحصل ذلك في هذه الليلة مع علو شأنها أولى، و لأنّ النزول المطلق لا يفيد إلّا النزول من السماء إلى الأرض**»[1].

أمّا المراغي في تفسيره فقد فرّ من كلّ الدلالات التي يمكن أن تظهر من اللفظ وسياقاته، وقال بصراحة: «**ونزول الملائكة إلى الأرض شأن من شئونه تعالى، لا نبحث**

(١) التفسير الكبير، للفخر الرازي، ج٣٢، ص٢٣٤.

عن كيفيته، فنحن نؤمن به دون أن نحاول معرفة تفاصيله وأسراره، فما عرف العالم بعد علمه»[1].

البُعد البشري:

نودّ التأكيد على أنّ الذي تتنزّل عليه الملائكة والرّوح هو من العنصر البشري، وليس من الملائكة، فالمخاطب بالرسالة وبشؤون الرسالة هم البشر، وأنّ كلّ من يتحمّل دوراً متعلقـًا بالرّسالة هو من البشر، وكما أكّدنا سلفـًا في الحديث في القسم الأوّل على العنصر

(١) تفسير المراغي، ج٣٠، ص: ٢١٠.

البشري المتلقّي للمضامين السماوية، فإنّه مع المشابهة في المشهدين المتعلقين بليلة القدر يمكن أن نتأكّد من وجود العنصر البشري الذي تتنزّل عليه الملائكة، فوجوده في عصر النبي ﷺ يمثّله النبي ﷺ وهي تتنزّل عليه بالمضمون الذي يريده الله تعالى في كلّ ليلة قدر، ومع رحيله ﷺ فلا بدّ أن يكون هناك بشرٌ مستخلفٌ وممتدٌ؛ لتستمر الملائكة بالتنزّل عليه في كلّ ليلة قدر من كلّ عام.

ولا شكّ -كما كان الحال من التأكيد في السابق- في أنّ البشر الذي اختاره الله تعالى لتتنزّل الملائكة عليه هو من الأصفياء

والمطهّرين، وأصحاب الكفاءة العالية، والهمّة الضامنة لتسلّم الرسالة والمضمون، فهي سنّة جارية في هذا المشهد من التنزّل الملائكي في كلّ ليلة قدر، فهذا العنصر البشري إذاً، يحمل كلّ تلك الصفات العظيمة التي يرقى بها ليكون موضع ثقة الله عزّ وجلّ، ومؤتمناً على سرّه ورسالته.

وعلى ذلك، فيتفرّع من ثبوت العنصر البشري الذي تتنزّل عليه الملائكة والروح، ثلاث خاصّيات مهمّة، هي:

الخاصية الأولى: الاستقامة، أي استقامة هذا الرجل السّماوي الضامنة لتلقّي المضمون

السماوي بكلّ أمانة، ولأنّ هذا الشخص هو اختيار إلهي، فهو الذي اصطفاه من دون كلّ البشر، وهذا يعني أنّه يحمل صفة (العصمة)، التي تضمن استقامته ما دام حيّاً.

والعصمة ليست متعذّرة على بشر إن كان الله تعالى هو الذي يرعاها بالاختيار الصحيح لما يحمل من مؤهّلات، ولما يمدّه به من تأييد، وقد أخبرتنا آية في كتاب الله تعالى بأنّ الله تعالى قد طهّر أهل البيت عليهم السلام وأذهب عنهم الرجس، في قوله تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[1].

(١) سورة الأحزاب، آية ٣٣.

وبعيداً عن تحديد الأفراد المعنيين بأهل البيت في الآية، فإنّها تؤكّد بتعبير صريح أنّ الله تعالى هو الذي أذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً، أي من كلّ ما يعتبر رجساً، وهذا معنى العصمة، لأنّ ذلك إنّما صار بإذن الله تعالى، والله لا يخلف وعده عزّ شأنه.

الخاصية الثانية: الحياة، والحقيقة المؤكّدة الثانية المتفرّعة من أصل بَشَريّة رجل السماء الذي تتنزّل عليه الملائكة، هي أنّه حي يُرزق، لأنّ الله بثّ في مخلوقاته الحياة لكي يعيشوا مستقبلين للمسؤوليات ما داموا يتنفسون ويَعون، وهذا معنى الخلق للإنسان، ثمّ

جعل الممات طيّاً لحياتهم وقبضاً لاستطالة تصرفاتهم، فلا معنى لأن تتنزّل الملائكة على بشر دون أن يكون حيّاً، ولم يكن متواجداً وقت إنزال الملائكة عليه.

الخاصية الثالثة: الاصطفاء الإلهي للشخص، فإن انتخاب الشخصية ليس نتيجة اقتراح من أحد، ولم تأتِ عبر إجماعٍ أو شورى أو فرض أمر واقع، كما قيل في كيفيات تحديد بعض الولاة والكبراء، إنّما تحدّدت هذه الشخصيّة من قِبَل الله عزّ وجلّ، فهو الذي اختارها بعنايته، لعلمه بما تحمل من مؤهلات بقدر ما أعطاها من مهام إلهية.

وسيؤكّد كلّ ذلك، ما ذكرته الآية أنّه بإذن الله.

الإذن الإلهي:

﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾، فالثّابت الذي افترضناه في سائر فصول البحث، أنّ صناعة المشهدَين في سورة القدر، هي صناعة إلهية، وهي فعل إلهي يعبّر عن مشيئة الله وإرادته، ويكشف عن سُننه في خلقه، وقد جاء التأكيد على أنّ هذا التنزّل في المشهد الثاني هو بإذن الله تعالى.

فكما أنّه لم تُذكر في المشهد الأوّل الملائكة واعتُمِد على معرفتها من خلال الثوابت القرآنية، وقد ذُكرت صراحة في المشهد الثاني، فكذلك لم يُذكر الإذن بهذا النحو من التصريح

في المشهد الأوّل، واعتُمِد في اكتشافه على الإيمان الأساسي بالخطاب القرآني ككلام الله، فإنّ الله عزّ شأنه هنا في المشهد الثاني يصرّح بوضوح تام أنّ هذا التنزّل هو بإذنه عزّ وجلّ، كلّ ذلك لكي نستوعب حجم الفعل وعظمة المشهد الإلهي، لتتكوّن لدينا مزيد عناية به.

ولنعلم أنّ كلّ فصول هذا المشهد العظيم هي فصول إلهيّة ربّانيّة، نابعة من مشيئته سبحانه في خلقه، وخاضعة لحكمته في عباده، وجارية ضمن سننه في رسالاته، فهذا من أمره وقضائه الذي لا يدفعه دافع، وهو من عطائه الذي لا يمنعه مانع، وهو من صنعه الذي ليس كصنعه صانع.

(من كلّ أمر)، المضمون السماوي

لقد ساقت لنا سورة القدر الشريفة بصيرة مهمّة وأثبتت لبنة أساسية في المشهد الإنزالي الثاني، وهي أنّ الإذن الإلهي بتنزّل الملائكة والرّوح في ليلة القدر حَمَلَ مضمونـًا، وهذا المضمون عبّرت عنه بعبارة ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، وقبل أن نتقدّم لقطف الدلالات من هذا التعبير الكبير، سوف نقدّم لذلك بعرض حقيقة تنزّل الملائكة على البشر والتأكيد على أنّها ليست على نحو نزول الملائكة المدبّرة للشأن الإلهي العادي، بل هي إنزال استثنائي بالضرورة.

تحدّثت بعض آيات سورة آل عمران عن

واقعة بدر التي خاضها المسلمون مع رسول الله ﷺ ضد الكافرين، وذكرت أنّ الله تعالى أنزل عليهم ملائكة تأييداً لهم لنصرهم على عدوّهم لمِا استحقّوه حينها، وَلِيُتِمَّ الحجّة البالغة عليهم، حيث قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ* إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ* بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ* وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا

﴿مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[1].

بهذا الحجم من الامتنان على المسلمين الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد ساق الله الحدث في كتابه، فقد نصرهم وكفاهم وأمدّهم بالملائكة، وهي حادثة واحدة لم تتكرّر، وهذا دليل على أنّ إنزال الملائكة بمهمة خاصّة تتعلّق بالبشر ليس شيئاً معتاداً، بل هو شأن استثنائي ينبغي أن يخلّد ويجب أن يتعقّله المؤمن ويتعلّم منه ويشكره.

إنّ حادثة إنزال الملائكة في بدر على المسلمين بمعية النبي صلى الله عليه وآله وسلم برغم مضمونها

(١) سورة آل عمران، آية ١٢٣ - ١٢٦.

المحدود المتعلّق بالنصر والغلبة على الأعداء، لتطمئن قلوبهم، وليشكروا الله عزّ وجلّ على هذه النعمة، إلّا أنّها خُلّدت في كتاب الله، واكتسبت تلك الأهمية في إيمان الإنسان المؤمن بقدرة الله عزّ وجلّ على إنزال الملائكة على من يشاء من عباده، كما أنّه إنزالٌ شَعَر به المسلمون جميعًا، أي أنّه لم يكن إنزالاً على نحو التأييد المعنوي فقط، بل أجمع المسلمون على أنّ الملائكة نزلوا إلى ميدان الحرب وخاضوا غمراتها، وذبّوا عن المسلمين بكلّ بسالة، فتمّ النصر لهم.

وهنا نؤكّد على انتفاء المعنى الذي

ذهب إليه جمع من العامّة من المفسرين، بأنّ نزول الملائكة هو نزول على نحو التشريف ليأخذوا دعوات الداعيين في ليلة القدر، أو لتصير طاعاتهم أكثر ثوابـًا، كما ذكر الرازي في تفسيره[1]، لجميع القرائن التي ذكرناها.

وما نحن بصدده هو حقيقة كبرى ذكرتها سورة القدر بأنّ تنزّل الملائكة المستمر في كلّ ليلة قدر، إنّما هو تنزّلٌ بمضمون كبير عبّرت عنه بـ ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، وهذا يقتضي من المؤمن إعلاء درجة الاهتمام، ورفع سقف التوقّع الآتي من دلالات السّورة الشريفة.

(١) التفسير الكبير، ج٣٢، ص١٢٣.

دلالة ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، يمكن أن تؤخذ بعمومها في معنى الأمر، والأمر لفظ يدلّ على العموم، أي كلّ شأن دون استثناء، أو كلّ ذي شأن، بحسب دلالة الأمر الذي يُطلق على ذي الشأن، أمّا الصغائر فلا يقال عنها في الخطاب أنّني جئتك لأمر، بل يقال للأمور المهمّة بحسب العادة.

ويمكن أن يعود الأمر على ما يخّص موضوع الخطاب، أي كلّ أمر بما هو مختص بمثل هذا النوع من العلاقة بين الله وسائر خلقه، وما يتعلّق به المقام، أي كلّ أمر يصلح لهدايتهم، أو كلّ أمر يصلح شأنهم، وما شابه ذلك، كما

يقال عن الطبيب إنّه يعرف كلّ أمر، فلا يتوقّع أن يكون المقصود هو أمر الفضاء أو الدّين، بل يكون المقصود هو أمر الطب ومتعلّقاته.

ولكنّنا ننتقل إلى آية أخرى ساقت لنا إشارة إضافية عن حقيقة ما يجري في ليلة القدر، ويمكن أن يستفاد منها في فهم أبيَنَ لعبارة ﴿**مِنْ كُلِّ أَمْرٍ**﴾، وهو قول الله تعالى:

﴿**حم. وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ. فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**﴾[1]. فالخطاب القرآني في سورة الدخان، مستطيل في معناه، فكما أنّ الدخان

(١) سورة الدخان، آية ٤.

يرتفع في السماء للدلالة على حقيقة النار، فإن أوّلها يبيّن حقيقة مهمّة ينبغي أن تكون ذات دلالة على أمر في غاية الأهمية، ولذلك جاءت في سياق القَسَم بكتاب الله المُبين، قَسَم بكتاب الله هو قَسَم عظيم بلا شك، وهو يُلفت العناية إلى معنى بالغ الأهمية سيذكره الله عزّ وجلّ في الآيات التالية له، وهو قَسَم بصفة المُبين من صفات كتاب الله، لعلّه لكي يبيّن الحقيقة الكبرى في مضمون الآية التالية، وعلى كلّ حال، فإنّ القَسَم على الشيء هو تعظيمٌ له وتأكيدٌ عليه.

القَسَم القرآني في أوّل سورة الدخان بأنّ الله

تعالى أنزل القرآن في ليلة مباركة، وقد عرفنا من سورة القدر أنّها ليلة القدر الشريفة، ثمّ ذكر حقيقة ما يجري في هذه الليلة المباركة، وهي أنّ {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ}.

كلّ أمر حكيم، يرجعنا إلى معنى الأمور الحكيمة، أي الأمور التي تختص بالإنسان فيما يرتبط بحياته ومصيره من كلّ الجهات، وهذه الجهات يمكن معرفتها عبر التدبّر في آيات كتاب الله في شأن الإنسان، فكلّ ما ذكره القرآن متصلاً بالإنسان فيكون هو مضمون الإنزال في ليلة القدر، كالتمسّك بالدّين، في شأن عقيدته، وشأن عباداته، وأخلاقه، وكلّ ما يتعلّق بأعمال

الإنسان وماضيه، وما يتعلق بمعاشه ومستقبله من مفردات كثيرة.

وأنّ كلمة (يُفرَق) تشير إلى مفترق الطرق في كلّ تلك الشؤون، أي أنّه في ليلة القدر يتحدّد مصير الإنسان في اختياراته وما يُكتب عليه من تلك الشؤون.

كما نستفيد من كلمة (يُفرق) أنّها لا تتعلّق بالثوابت الإلهية، كأصول المعتقد وأصول الديانة، بل وأصول جريان التكوين من اختلاف الليل والنهار وشبهه، إلّا أنّها تتعلّق بما تجري عليه المتغيّرات وما يكون من شأنه الحاجة إلى الفرقان لتحديد طريقه، فينضمّ ما يحدث

من كونيّات متغيّرة كالأمطار ونسبة هطولها، وكالرياح وسرعة جريانها، والطقس وما يعرض فيه من حرارة أو برودة، وما إلى ذلك من قائمة الأمور التي تنزل بها الملائكة في ليلة القدر.

إنّنا نصل من خلال آيات كتاب الله إلى حقيقة عظيمة، من شأنها أن توضّح لنا عظمة ليلة القدر في كلّ عام بالنسبة لكلّ مؤمن، والحقيقة هي أنّ الملائكة تتنزّل بكلّ ما يختصّ بالإنسان من شأنٍ يحتاج فيه إلى الفرقان، ويحتاج فيه إلى الخيار، وإلى التعديل والتبديل، وتتنزل بكلّ ما سيجري عليه أو حوله في الكون من حوادث ووقائع.

ونعود بالتأكيد على هذا المعنى في وجه تسمية ليلة القدر بهذا الاسم، وهو الأمر الذي تجاوزناه في بداية الأمر، وهنا موضع تعزيزه، حيث أنّ فيها يُفرق كلّ أمر حكيم، يعني ما يرتبط بقَدَر الإنسان ومصيره، وهي سلّم يصعد به المؤمن ليبلغ قدراً عالياً عند ربّه، وهذا الاشتقاق من القدر استفدناه من القرائن المتعدّدة في الآيات بل والرّوايات، وهذا ما أجمع عليه عامّة المسلمين، وقد رَوَوا في ذلك روايات وذكروا آراء المفسرين، غايتها أنّ ليلة القدر إنّما سُمّيت بهذا الاسم، لأنّها ليلة الحُكم وليلة التقدير لما يختصّ بالإنسان إلى سنته، أي من ليلة القدر إلى مثلها في العام القابل، وهكذا تتجدّد المهمّة في كلّ عام.

وهذا سرّ تكثّر الخطاب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن السائرين على هديه وهم أهل بيته الطاهرين عليهم السلام، وما رواه عامّة المسلمين في ضرورة اغتنام فرصة مرور ليلة القدر الشّريفة في كلّ عام من السنة، بأن تكون ليلة القدر من كلّ عام موضع إحياء بالعبادة، يتوجّه فيها المؤمنون إلى الله تعالى بالدعاء، والدعاء يحمل في طياته كلّ ما يأمله الإنسان من خالقه، سواء في التوبة إلى الله والرجوع إليه بعد اقتراف الخطايا والذنوب، أو في التوفيق للمزيد من الخيرات وعمل الصالحات، أو لطلب العافية في الدين والدنيا، أو غير ذلك من آمال يؤمن بالقطع واليقين أنّ الله تعالى فتح في ليلة القدر الأبواب إلى السماء لتحقيقها والتأثير فيها بجهده في التهجّد.

العلاقة بين رَجل السّماء والأمر

كما أنّ الله تعالى يمكنه أن يجعل الناس أمّة واحدة من دون أن يبعث إليهم رسلاً منهم ليبلغوهم رسالاته ويثيروا لهم دفائن العقول، لكي يؤمنوا بها، فإنّه عزّ وجلّ قادرٌ على أن يفتح أبواب السماء دون أن تكون هناك واسطة بين أعمال العباد وبين السماء، إلّا أنّه عزّ وجلّ أجرى سنّته في خلقه ببعث الرسل، وفي وضع الوسائل إليه.

هذه مقدّمة لوعي العلاقة بين رجل السماء الذي تتنزّل عليه الملائكة، والمضمون المُنزَل عليه، من كلّ أمر، في ليلة القدر التي يُفرَق فيها

كل أمر حكيم، فلا مجال هنا للاقتراح على الله تعالى، بل لا بدّ أن ينفتح الإنسان على الدلالات في استقاء المعرفة وفي وعي ما أراد الله تعالى أن يجريه في خلقه، وقد أجرى في خلقه أن تتنزّل الملائكة على بشر في ليلة القدر، بكلّ الأمور المهمّة والشؤون الحكيمة، لتكون تحت رعايته وبين يديه، فإن استلهم ما ينتفع به من حقائق، وإلّا فعليه التسليم لأمر الله تعالى فيما ينظمه من سُنن في خلقه، وهو أعرف بخلقه من أنفسهم.

الاقتراب من تفهّم العلاقة بين رجل السماء وأمر الله النازل، فيما يخصّ العباد والبلاد، يفتح أمامنا نوافذ لوعي التواصل

مع رجل السماء المنظور من قِبَل الله تعالى، فهو وليّه على عباده، وهو ولي الأمر، وعليه تتنزّل الملائكة، شئنا أم أبينا، وهذا يدلّنا على ضرورة إلهية في وجود رجل السماء وولي الله في كلّ زمان، وهذه الحقيقة بذاتها دلالة على أنّ كمال المعتقد الديني لا يكون إلّا بالإيمان برجل مقدّس موجود في كلّ زمان، وكلّ من لا يؤمن بهذه الحقيقة فهو ناقص الإيمان، وناقصه يساوق مخالفته ومغايرته.

نعم، إنّ هذا المعتقد هو المنطبق على المعتقد الشيعي الإمامي في الحقيقة المهدوية، التي تؤمن بأنّ الإمامة لم تنقطع بعد رسول

الله ﷺ، وهي امتداده في مهامّه إلّا النبوّة، ولا يخلو زمان من وجودهم، كما لا يخلو زمان من وجود ليلة القدر، وأوصياء رسول الله ﷺ هم الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، الذين عبّرت عنهم الروايات في كتب المسلمين على اختلاف مذاهبهم بأنّهم (خلفاء اثنا عشر) (وأئمّة اثنا عشر) حتى يوم القيامة، إلّا أنّنا هنا نثبّت أصل الوجود المقدّس لرجل السماء في كلّ زمان، من خلال إثبات تنزّل الملائكة عليه في كلّ ليلة قدر في كلّ زمان، وهي مقدّمة لفهم المعتقد الشيعي في الحقيقة المهدوية وأنّها أصل قرآني وحقيقة قرآنية لا تقبل التشكيك.

سلام هي حتى مطلع الفجر

وما نود المضي في اكتشافه هو دور رجل السّماء وإمام الزّمان في ليلة القدر، إلّا أنّ ظاهر الآيات لم تذكر لنا الوظيفة التي يضطلع بها بشكل تفصيلي، ولا شكّ أنّ الرجوع إلى الرّوايات الشّريفة من شأنه أن يبيّن لنا المزيد من الحقائق، وهذا ما سوف نسوقه في الجزء الثاني في البحث التطبيقي، إلّا أنّنا هنا في سياق الحديث عن معطيات الآيات القرآنية في هذا الشأن، فهل يمكن أن نكتشف شيئًا إضافيًا غير تنزّل الملائكة عليه، وغير ضرورة الإيمان بوجوده في كلّ زمان؟

يمكن التدبّر في آخر آية من سورة القدر، لتكون مدخلاً لفهم بعض الشيء من وظيفة الإمام الذي تتنزّل عليه الملائكة، فقد قال تعالى في وصف ليلة القدر بأنّها ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾، ويبدو أنّ هذا السّلام بغض النّظر عن تفصيل معناه، الذي قيل فيه إنّ الملائكة تنزل بالسّلام على الخلق، أو هو التسليم على الملائكة، أو يكون حال الإنسان في سلامة، أو تكون ماهية الليلة سلام يمكن أن يُحقّق فيها كلّ ما هو في سلامة الإنسان، سواء كان هذا المعنى أو ذاك، فإنّ الحقيقة الأساسية هي كون ليلة القدر سلاماً لعباد الله، لأنّ الخطاب متعلّق بهم، وتتنزل

الملائكة لا عن عبث، بل لمصلحة عباد الله.

فنحن أمام ثلاث حقائق:

أولاها: أنّ الملائكة تنزل من الّسماء إلى الأرض في ليلة القدر، وهذا يبيّن لنا اتجاه سير الملائكة، وقد دلّت عليه سورة القدر.

ثانيها: أنّ الفعل الذي يحدث في ليلة القدر، هو تحديد قَدَر الإنسان فيها، وقد استفدناه من سورة الدخان التي قالت ﴿**فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**﴾[1].

ثالثها: أنّ الملائكة تصعد بما لديها من

(١) سورة الدخان، ٤.

أمور قد قُدّرت للناس، وفَهْم ذلك ضروري، لأنّ الملائكة ما دامت ذات رسالة آخذة، فهي نزلت لتستلم، ولا بدّ أن تُسلّم، بغض النظر عن كيفية التسليم، فإنّ أقدار الخلق ستحمله فيما بعد ملائكة التدبير، وستجريه على العباد بأمر الله تعالى، وهذا من الثوابت والضروريات الدينية.

فيكون المشهد واضحاً في أنّ كلّ التقديرات تجري بين يدي ولي الله ورجل السماء وإمام الزمان، الذي تنزل عليه الملائكة، وبغض النظر عن ما أفادته الرّوايات في شأن إمام الزمان وكيفية الارتباط به، فنحن نعرض أربع جهات يمكن تعقّلها في العلاقة بين رجل السماء والأمر

الإلهي الذي يتصل بحياة الإنسان وقَدَره:

الجهة الأولى: أنّ رجل السماء هو ولي الأمر وموضع العناية الإلهية، ووجوده ضرورة، ما يعني ضرورة الإيمان به، ووجوب تولّيه، فهو الولي من الله تعالى، لأنّ الله ينزّل عليه الملائكة والرّوح، وقد أجمع المسلمون على أنّه مَن يَمت ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهلية، فسورة القدر فتحت باب ضرورة معرفته، وباب وجوب الإيمان به.

الجهة الثانية: أنّ الله تعالى قال في كتابه الكريم، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا**

﴿إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[1]، فأفضل وسيلة إلى الله تعالى يمكن أن يضعها المؤمن أمام طلباته وآماله، هو ولي الأمر ورجل السماء وإمام الزمان.

الجهة الثالثة: الولي له الأثر في حياة الإنسان المسلم، حتى لو لم يكن مُشاهَداً، كما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في المدينة المنوّرة، ولكنّ أهل مكّة وجميع المسلمين كانوا ينتفعون به ويتمتّعون بوجوده بعدّة أنحاء، منها دعاؤه لهم بالخصوص، ودعواته لهم بالعموم، لأنفسهم أو على أعدائهم، وهو ما يفسّر دفع الكثير من المكاره عن المؤمنين، والتوفيق للصلاح بنحو

(١) سورة المائدة، آية ٣٥.

أكبر ممّا كانوا يتوقّعونه.

الجهة الرابعة: الحضور الرّوحي لإمام الزمان في النفوس، واستشعار وجوده المقدّس في عالَم الدنيا، ذو أثر بالغ في الارتباط بالدين وبتعاليمه التي تمثّل الدين، ونظير هذا الحضور كما ننظر للملائكة الرّقباء الذين يراقبون الأعمال، عن اليمين وعن الشمال قاعدين، دون أن نبصرهم بأنظارنا، فنحن نتأثّر بهذا الحضور كلّما استحضرناه في نفوسنا، وهكذا هو رجل السماء وإمام الزمان، فإنّ أعمالنا بين يديه، وتُعرض عليه، وأقدارنا تُرسم تحت رعايته.

المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف هو رَجل السّماء

لقد بدى لنا كحقيقة ساطعة كالشمس في رائعة النهار، أنّ المعتقد الذي تتبناه الشيعة الإمامية في إمام زمانها، هو المنطبق على دلالات سورة القدر الشريفة، من أوّلها حتى آخرها، ولا يمكن أن نجد تفسيراً واقعيـًا يفسّر معاني القرآن الكريم في سورة القدر غير ما حملته طيّات العقيدة الشيعية في ولاية أهل البيت عليهم السلام عمومـًا، وفي ولاية الإمام الحجّة المنتظر بن الحسن العسكري عجل الله تعالى فرجه الشريف على الخصوص.

فقد اتّفق المسلمون على أنّ الخلفاء بعد

النبي ﷺ اثنا عشر خليفة، أو اثنا عشر أميراً[1]، أو اثنا عشر إماماً، كلّهم من قريش، وقد اتفق المسلمون على رواية أنّ النبي ﷺ قد ضَمِن للمسلمين عدم الضلالة إذا تمسّكوا بالقرآن وعترة النبي ﷺ، فالتمسّك بالعترة ضرورة، وقد اتحد مفهوم العترة مع مفهوم خلفاء النبي ﷺ، فهم خلفاء النبي ﷺ الحقيقيون،

(١) انظر البخاري، ج٩، ص٨١، ح٧٢٢٢. جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**يَكُونُ اثْنَا عَشَرَ أَمِيرًا. فَقَالَ كَلِمَةً لَمْ أَسْمَعْهَا، فَقَالَ أَبِي: إِنَّهُ قَالَ: كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ**»، وفي كتاب مستخرج أبي عوانة، طبعة الجامعة الإسلامية، عن النبي ﷺ: «**يكون بعدي اثنا عشر أميراً، كلهم من قريش**». ج١٥، ص٨٥، ح٧٤٢٥. وفي جمع الجوامع، (الجامع الكبير): «**يَمْلِكُ هَذِهِ الأُمَّةَ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كَعِدَّةِ نُقَبَاءِ بَنِى إِسْرَائِيلَ**». ج١٣، ص٣٦٤. وغيرها.

وأنّ عترته أهل بيته الاثنا عشر، هم الّذين أَذهَبَ الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً، فينسجم القول بأنّ رجال السماء الذين تتنزّل عليهم الملائكة والّروح هم أهل البيت عليهم السلام، وفي عصرنا الراهن هو إمام الزمان، آخرهم المهدي بن الحسن العسكري عجل الله تعالى فرجه الشريف، الذي غاب عن الأعين إلى حين الظهور بالإذن الإلهي، ليملأ الأرض قسطًا وعدلاً بعدما ملئت ظلمًا وجوراً.

وغيبته مع حياته في عصرنا دليلٌ مأخوذٌ من عدّة أدلّة، منها رواية الاثني عشر خليفة، وهي الضرورة الدينية التي يجب أن يؤمن بها كلّ

مسلم، لأنّ النبي ﷺ حصر خلفاءه في عددهم، فلا يزيد ولا ينقص، وقد رحل الحادي عشر، وغاب الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه الشريف، ولكنه بقي شاهداً على العصر، مشرفاً على أعمال العباد، فتتنزّل عليه الملائكة والرّوح بإذن ربّهم من كلّ أمر.

وقد يتساءل البعض عن إثبات تفاصيل ذلك، فيمكنه أن يطلبها من مظانّها، فسيجد علاماتها لائحة، وأدلّتها متينة، ولكنّنا في هذا المقام نؤكّد بأنّ دلالات سورة القدر لا تنطبق إلّا على المعتقد الشيعي الاثني عشري، وهذه المهمّة إحدى مهام القرآن الكريم، الذي يدلّ على الحقائق، ويؤيّد المعتقد الصائب بشتى

الطرق، فالباحث الجاد في بحثه، الصادق في مطالبه، لا ينبغي أن يمرّ على حقائق سورة القدر مرور الكرام، ولا يهوّن من عظمتها استهانة الجاهلين، ولا يستكبر عنها استكبار الجاحدين المعاندين.

فسلامٌ على ولي الأمر، ورجل السماء، وإمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

القسم الثاني:

الحقيقة المهدوية في سورة القدر بروايات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام

الحُجّة في سورة القدر

يخاطب القرآنُ الناسَ باللّغة العربية التي كان العرب يطوّعون حروفها في أدبهم، وينسجون من كلماتها بلاغتهم، فكان خطاباً يفهمه العرب حال قراءتهم له، فيذكّرهم بفطرتهم، ويدعوهم للتفكّر في خلق السماوات والأرض، ويسوق لهم الآداب التي تتفرّع من أصل التوحيد، ويضرب لهم الأمثال في مختلف مناحي الحياة، فيمكن لهم أن ينتفعوا بخطاب القرآن الكريم بمقدار ما تعلّقوا باللغة، وبمقدار ما خبروه من أسرارها، وما تداولوه في محاوراتهم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1].

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾[2].

كما أن الله تعالى يبيّن في كتابه بعض ما لم يتنبّهوا إليه، فيذكّرهم، بالأمثال وغيرها، ليعقلوا ويتفكّروا ويهتدوا.

قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ

(١) سورة يوسف، آية ٢.
(٢) سورة طه، آية ١١٣.

آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

وقال عزّ وجلّ: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[3].

وإضافة إلى ذلك، فإن للقرآن أعماقًا وبطونًا، يستدعي الالتفات إليها تذكير مذكّر، وتنبيه منبّه، فلو أن العربي الضليع في عربيته، قرأ هذا النوع من الآيات، إمّا أنّه لن يقف منها على

(١) سورة البقرة، آية ٢٤٢.
(٢) سورة البقرة، آية ٢٦٦.
(٣) سورة آل عمران، آية ١٠٣.

معنى، وإمّا أنّه سيقف على معنى لا يلامس إلا سطح الآية، وبرغم صحّة ما لامس فكره منها، إلا أنه لو لَقي مذكّراً يثير دفائن عقله، فينبّهه إلى إشارة في حرف، أو معنى في كلمة، أو إلى دلالة في سياق، فإنّه سيتنبّه لما تُلقيه الآية عليه من ثمار تسدّ نهمه في المزيد من المعارف القرآنية.

وقد يتعرّض العديد منّا لهذا النوع من الآيات، وقد تعرّض لها البعض في التاريخ عند محاوراتهم لأهل البيت عليهم السلام، وهم مِمّن يُعتبر من العلماء الأفذاذ، حتى أن بعضهم عندما نبّهه الإمام إلى معنى غائب، استلالاً على خلاف ما يدّعيه ذلك العالم، وقف مدهوشـًا، حائراً من

شدّة وضوح الدلالة، وصدق الدليل، فيقول: والله كأني لم أقرأ هذه الآية من قبل.

قد تغيب الدلالة في هذا النوع من الآيات عن القارئ العادي، بل وعن العالم باللغة وفنونها، وليس هنا العيب، وإنما العيب في أنه لو نُبّه للمعنى، وبُيّن له الدليل من الآية، وأسفر الدليل منها عن وجهه، لم يستجب لنداء الدليل، ولذا كان من مهام النبي ﷺ، وبعده أوصيائه الطاهرين عليهم السلام، أنهم يبيّنون للناس ما غاب عنهم، ويفتحون لهم المغالق، وقد قال تعالى: ﴿**لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ**﴾[1].

(١) سورة النحل، آية ٣٩.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[1].

وهذا التبيين هو امتحان إيماني كبير، لأنه دليل على صدق الإنسان في إيمانه، باعتباره سيواجه ما لم يألفه، بالرغم من حقيقته، ولهذا فإن مسؤوليات كل من يعلم الكتاب ويعلم أسراره ومكامن الاستدلال فيه، هي أن يبيّنه للغافلين عنه، ومن يكتمه فهو آثم قلبه.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ

(١) سورة البقرة، آية ١٥١.

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[1].

وبعدما ذكرنا، نقول: إن الدلالة على وجود الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف في سورة القدر، هي دلالة من هذا النوع، لما بيّنه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في هذه الرواية:

عَنْ يُونُسَ عَنْ عُمَرَ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام: أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يُقِرَّ بِمَا يأتكم [يَأْتِيكُمْ] فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ كَمَا ذُكِرَ، وَلَمْ يَجْحَدْهُ.

(١) سورة آل عمران، آية ١٨٧.

قَالَ: «**أَمَّا إِذَا قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ من [مِمَّنْ] يَثِقُ بِهِ فِي عِلْمِنَا، فَلَمْ يَثِقْ بِهِ، فَهُوَ كَافِرٌ، وَأَمَّا مَنْ لَا[1] يَسْمَعُ ذَلِكَ فَهُوَ فِي عُذْرٍ حَتَّى يَسْمَعَ، ثُمَّ قَالَ: يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ[2]**»[3].

والآن نترك القارئ العزيز مع نصوص الروايات الشريفة الصادرة عن بيت العصمة والطهارة، النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، في شأن سورة القدر، وما فيها من دلالات تنسجم مع ما حاولنا إثباته في القسم الأول بضرورة الولاية، وضرورة الوجود الشريف للإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

(١) و في نسخة بدله، لم.
(٢) سورة التوبة، آية: ٦١.
(٣) بصائر الدرجات، ج١، ص٢٢٢.

احتجوا بسورة القدر
والدليل على حياة الولي، والحاجة للمفسّر

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الشِّيعَةِ، خَاصِمُوا بِسُورَةِ: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ، تَفْلُجُوا[1]، فَوَاللهِ إِنَّهَا لَحُجَّةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الْخَلْقِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، وَإِنَّهَا لَسَيِّدَةُ دِينِكُمْ، وَإِنَّهَا لَغَايَةُ عِلْمِنَا.

يَا مَعْشَرَ الشِّيعَةِ، خَاصِمُوا بِ ﴿حم. وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ، إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾، فَإِنَّهَا لِوُلَاةِ الْأَمْرِ خَاصَّةً بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم.

يَا مَعْشَرَ الشِّيعَةِ، يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

(١) الفلج: الظفر بمن تخاصمه.

﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ﴾[1].

قِيلَ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ، نَذِيرُهَا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم.

قَالَ: صَدَقْتَ، فَهَلْ كَانَ نَذِيرٌ وَهُوَ حَيٌّ مِنَ الْبِعْثَةِ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ؟

فَقَالَ السَّائِلُ: لَا.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: أَرَأَيْتَ بَعِيثَهُ، أَلَيْسَ نَذِيرَهُ، كَمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِي بِعْثَتِهِ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ نَذِيرٌ؟

فَقَالَ: بَلَى.

قَالَ: فَكَذَلِكَ لَمْ يَمُتْ مُحَمَّدٌ إِلَّا وَلَهُ بَعِيثٌ نَذِيرٌ. قَالَ: فَإِنْ قُلْتُ: لَا، فَقَدْ ضَيَّعَ رَسُولُ

(١) سورة فاطر، آية ٢٢.

اللهِ ﷺ مَنْ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ مِنْ أُمَّتِهِ.

قَالَ: وَمَا يَكْفِيهِمُ الْقُرْآنُ؟

قَالَ: بَلَى، إِنْ وَجَدُوا لَهُ مُفَسِّراً.

قَالَ: وَمَا فَسَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟

قَالَ: بَلَى، قَدْ فَسَّرَهُ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ، وَفَسَّرَ لِلْأُمَّةِ شَأْنَ ذَلِكَ الرَّجُلِ، وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام.

قَالَ السَّائِلُ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ، كَانَ هَذَا أَمْرٌ خَاصٌّ، لَا يَحْتَمِلُهُ الْعَامَّةُ.

قَالَ: أَبَى اللهُ أَنْ يُعْبَدَ إِلَّا سِرّاً، حَتَّى يَأْتِيَ إِبَّانُ أَجَلِهِ الَّذِي يَظْهَرُ فِيهِ دِينُهُ، كَمَا أَنَّهُ كَانَ رَسُولُ اللهِ مَعَ خَدِيجَةَ مُسْتَتِراً حَتَّى أُمِرَ بِالْإِعْلَانِ.

قَالَ السَّائِلُ: يَنْبَغِي لِصَاحِبِ هَذَا الدِّينِ أَنْ يَكْتُمَ؟

قَالَ: أَوَ مَا كَتَمَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يَوْمَ أَسْلَمَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، حَتَّى ظَهَرَ أَمْرُهُ.

قَالَ: بَلَى.

قَالَ: فَكَذَلِكَ أَمْرُنَا، حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتابُ أَجَلَهُ[1].

أقول: يبدو أن مسألة الخفاء والظهور في آخر الرواية، هي مسألة نسبية، كما بيّن الإمام عليه السلام، أن لها حالات كما كانت بعثة رسول الله صلى الله عليه وآله من الخفاء أولاً، ثم مع تهيئة الوضع، ظهرت بعثته للعيان.

(١) الكافي، للكليني، ج١، ص٢٥٠.

وروى في الكافي عن أَبى جَعْفَرٍ عليه السلام: **فَضْلُ إِيمَانِ الْمُؤْمِنِ بِجُمْلَةِ: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ، وَبِتَفْسِيرِهَا، عَلَى مَنْ لَيْسَ مِثْلَهُ فِي الْإِيمَانِ، بِهَا كَفَضْلِ الْإِنْسَانِ عَلَى الْبَهَائِمِ**[1].

إنكار دلالات ليلة القدر جحود، ودلالات إنزال الملائكة والروح

الكليني في الكافي: قَالَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: **لَمَا تَرَوْنَ**[2] **مَنْ بَعَثَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلشَّقَاءِ عَلَى**

(١) الكافي، للكليني، ج١، ص٢٥١.
(٢) اللام موطئة للقسم و جوابه« **أكثر ما ترون**» و« **ترون**» بمعنى« **تزور**» أو هو مصحف.

أَهْلِ الضَّلَالَةِ مِنْ أَجْنَادِ الشَّيَاطِينِ وَأَزْوَاجِهِمْ[1]، أَكْثَرُ مِمَّا تَرَوْنَ خَلِيفَةَ اللهِ الَّذِي بَعَثَهُ لِلْعَدْلِ وَالصَّوَابِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

قِيلَ يَا أَبَا جَعْفَرٍ، وَكَيْفَ يَكُونُ شَيْءٌ أَكْثَرَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟

قَالَ: كَمَا شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ السَّائِلُ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ، إِنِّي لَوْ حَدَّثْتُ بَعْضَ الشِّيعَةِ بِهَذَا الْحَدِيثِ لَأَنْكَرُوهُ.

قَالَ: كَيْفَ يُنْكِرُونَهُ.

قَالَ: يَقُولُونَ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ عليهم السلام أَكْثَرُ مِنَ الشَّيَاطِينِ.

(١) في بعض النسخ[أرواحهم].

قَالَ: صَدَقْتَ، افْهَمْ عَنِّي مَا أَقُولُ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ يَوْمٍ وَلَا لَيْلَةٍ إِلَّا وَجَمِيعُ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ تَزُورُ أَئِمَّةَ الضَّلَالَةِ، وَيَزُورُ إِمَامَ الْهُدَى عَدَدُهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، حَتَّى إِذَا أَتَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، فَيَهْبِطُ فِيهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ خَلَقَ اللهُ، أَوْقَالَ قَيَّضَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الشَّيَاطِينِ بِعَدَدِهِمْ، ثُمَّ زَارُوا وَلِيَّ الضَّلَالَةِ، فَأَتَوْهُ بِالْإِفْكِ وَالْكَذِبِ، حَتَّى لَعَلَّهُ يُصْبِحُ فَيَقُولُ: رَأَيْتُ كَذَا وَكَذَا، فَلَوْ سَأَلَ وَلِيَّ الْأَمْرِ عَنْ ذَلِكَ، لَقَالَ رَأَيْتَ شَيْطَانًا أَخْبَرَكَ بِكَذَا وَكَذَا، حَتَّى يُفَسِّرَ لَهُ تَفْسِيراً، وَيُعْلِمَهُ الضَّلَالَةَ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا.

وَايْمُ اللهِ، إِنَّ مَنْ صَدَّقَ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، لَيَعْلَمُ أَنَّهَا

لَنَا خَاصَّةً، لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم لِعَلِيٍّ عليه السلام حِينَ دَنَا مَوْتُهُ: هَذَا وَلِيُّكُمْ مِنْ بَعْدِي، فَإِنْ أَطَعْتُمُوهُ رَشَدْتُمْ، وَلَكِنْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِمَا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، مُنْكِرٌ، وَمَنْ آمَنَ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ مِمَّنْ عَلَى غَيْرِ رَأْيِنَا، فَإِنَّهُ لَا يَسَعُهُ فِي الصِّدْقِ إِلَّا أَنْ يَقُولَ: إِنَّهَا لَنَا، وَمَنْ لَمْ يَقُلْ، فَإِنَّهُ كَاذِبٌ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُنَزِّلَ الْأَمْرَ مَعَ الرُّوحِ وَالْمَلَائِكَةِ إِلَى كَافِرٍ فَاسِقٍ، فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُ يُنَزِّلُ إِلَى الْخَلِيفَةِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهَا، فَلَيْسَ قَوْلُهُمْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ، وَإِنْ قَالُوا: إِنَّهُ لَيْسَ يُنَزِّلُ إِلَى أَحَدٍ، فَلَا يَكُونُ أَنْ يُنَزَّلَ شَيْءٌ إِلَى غَيْرِ شَيْءٍ، وَإِنْ قَالُوا، وَسَيَقُولُونَ: لَيْسَ هَذَا بِشَيْءٍ، فَقَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيداً[1].

(١) الكافي، للكليني، ج١، ص٢٥٣.

الأسئلة الثلاثة عن التنزّل: مِمَّن، إلى مَن، ما هو؟

عَنْ دَاوُدَ بْنِ فَرْقَدٍ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، الَّتِي تَنَزَّلُ فِيهَا الْمَلَائِكَةُ.

فَقَالَ: تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ، سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ.

قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: مِمَّنْ وَإِلَى مَنْ وَمَا يَنْزِلُ؟(١).

وعَنِ ابْنِ بُكَيْرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: **إِنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ يُكْتَبُ مَا يَكُونُ مِنْهَا فِي السَّنَةِ إِلَى**

(١) بصائر الدرجات، ج١، ص٢٢٢.

مِثْلِهَا، مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ أَوْ مَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ أَوْ مَطَرٍ، وَيُكْتَبُ فِيهَا وَفْدُ الْحَاجِّ ثُمَّ يقضى [يُفْضَى][1] ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ.

فَقُلْتُ: إِلَى مَنْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ؟

فَقَالَ: إِلَى مَنْ تَرَى[2].

وعَنْ دَاوُدَ بْنِ فَرْقَدٍ قَالَ: **سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَ: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ[3].**

قَالَ: نَزَلَ فِيهَا مَا يَكُونُ مِنَ السَّنَةِ إِلَى السَّنَةِ، مِنْ مَوْتٍ أَوْمَوْلُودٍ.

---

(١) الظاهر أنّه يفضى كما في بعض النسخ.

(٢) بصائر الدرجات، ج١، ص٢٢١.

(٣) سورة القدر، آية ٢.

قُلْتُ لَهُ: إِلَى مَنْ؟

فَقَالَ: إِلَى مَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ!

إِنَّ النَّاسَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فِي صَلَاةٍ وَدُعَاءٍ وَمَسْأَلَةٍ، وَصَاحِبَ هَذَا الْأَمْرِ فِي شُغُلٍ، تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ إِلَيْهِ بِأُمُورِ السَّنَةِ، مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى طُلُوعِهَا، مِنْ كُلِّ أَمْرٍ، سَلَامٌ هِيَ لَهُ، إِلَى أَنْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ[1].

أهل البيت عليهم السلام وليلة القدر

عَنْ أَبِي الْهُذَيْلِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ: يَا أَبَا الْهُذَيْلِ، إِنَّا لَا يَخْفَى عَلَيْنَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ،

(١) بصائر الدرجات، ج١، ص٢٢١.

إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَطُوفُونَ[1] بِنَا فِيهَا[2].

وعَنِ الْقَاسِمِ بْنِ يَحْيَى، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: **لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم هَبَطَ جَبْرَئِيلُ وَمَعَهُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ الَّذِينَ كَانُوا يَهْبِطُونَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. قَالَ: فَفُتِحَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بَصَرُهُ فَرَآهُمْ فِي مُنْتَهَى السَّمَاوَاتِ إِلَى الْأَرْضِ، يُغَسِّلُونَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم مَعَهُ، وَيُصَلُّونَ مَعَهُ عَلَيْهِ، وَيَحْفِرُونَ لَهُ. وَاللهِ مَا حَفَرَ لَهُ غَيْرُهُمْ.**

حَتَّى إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، نَزَلُوا مَعَ مَنْ نَزَلَ،

---

(١) يطيفوننا، في نسخة البحار.

(٢) بصائر الدرجات، ج١، ص٢٢٢.

فَوَضَعُوهُ، فَتَكَلَّمَ وَفُتِحَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام سَمْعُهُ فَسَمِعَهُ، يُوصِيهِمْ بِهِ، فَبَكَى، وَسَمِعَهُمْ يَقُولُونَ: لَا نَأْلُوهُ جُهْداً، وَإِنَّمَا هُوَ صَاحِبُنَا بَعْدَكَ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ يُعَايِنُنَا بِبَصَرِهِ بَعْدَ مَرَّتِنَا هَذِهِ.

حَتَّى إِذَا مَاتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام رَأَى الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ مِثْلَ ذَلِكَ الَّذِي رَأَى، وَرَأَيَا النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم أَيْضاً يُعِينُ الْمَلَائِكَةَ، مِثْلَ الَّذِي صَنَعُوهُ بِالنَّبِيِّ.

حَتَّى إِذَا مَاتَ الْحَسَنُ، رَأَى مِنْهُ الْحُسَيْنُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَرَأَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم وَعَلِيّاً عليه السلام يُعِينَانِ الْمَلَائِكَةَ.

حَتَّى إِذَا مَاتَ الْحُسَيْنُ، رَأَى عَلِيُّ بْنُ

الْحُسَيْنِ مِنْهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَرَأَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وَعَلِيّاً وَالْحَسَنَ، يُعِينُونَ الْمَلَائِكَةَ.

حَتَّى إِذَا مَاتَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، رَأَى مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام مِثْلَ ذَلِكَ، وَرَأَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وَعَلِيّاً عليه السلام وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عليهما السلام يُعِينُونَ الْمَلَائِكَةَ.

حَتَّى إِذَا مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، رَأَى جَعْفَرٌ مِثْلَ ذَلِكَ، وَرَأَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وَعَلِيّاً عليه السلام وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَعَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ يُعِينُونَ الْمَلَائِكَةَ.

حَتَّى إِذَا مَاتَ جَعْفَرٌ، رَأَى مُوسَى مِنْهُ مِثْلَ ذَلِكَ، هَكَذَا يَجْرِي إِلَى آخِرِنَا[1].

(١) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم، ج١، ص: ٢٢٥.

لها نور ساطع في قلب الأئمة عليهم السلام

عَنْ أَبِي يَحْيَى الصَّنْعَانِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَالَ لِي أَبِي، مُحَمَّدٌ: قَرَأَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَعِنْدَهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ: يَا أَبَتَاهْ، كَأَنَّ بِهَا مِنْ فِيكَ حَلَاوَةً.

فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ، وَابْنِي، إِنِّي أَعْلَمُ فِيهَا مَا لَا تَعْلَمُ، إِنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ، بُعِثَ إِلَى جَدِّكَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقَرَأَهَا عَلَيَّ، ثُمَّ ضَرَبَ عَلَى كَتِفِيَ الْأَيْمَنِ، وَقَالَ: يَا أَخِي وَوَصِيِّي وَوَلِيَّ أُمَّتِي بَعْدِي، وَحَرْبَ أَعْدَائِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، هَذِهِ السُّورَةُ لَكَ مِنْ بَعْدِي، وَلِوُلْدِكَ مِنْ بَعْدِكَ، أَنَّ

جَبْرَئِيلَ أَخِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ، أَحْدَثَ إِلَيَّ أَحْدَاثَ أُمَّتِي فِي سُنَّتِهَا، وَإِنَّهُ لَيَحْدُثُ ذَلِكَ إِلَيْكَ، كَأَحْدَاثِ النُّبُوَّةِ، وَلَهَا نُورٌ سَاطِعٌ فِي قَلْبِكَ، وَقُلُوبِ أَوْصِيَائِكَ، إِلَى مَطْلَعِ فَجْرِ الْقَائِمِ[1] عليه السلام.

دليل الإمامة في ليلة القدر، لابد للأمر من صاحب

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، يَقُولُ: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، صَدَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، أَنْزَلَ اللهُ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ.

(١) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، ص: ٧٩٤.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَا أَدْرِي.

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ.

قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: وَ هَلْ تَدْرِي لِمَ هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: لِأَنَّهَا، تَنَزَّلُ فِيهَا الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ، وَإِذَا أَذِنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشَيْءٍ فَقَدْ رَضِيَهُ، سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ، يَقُولُ: تُسَلِّمُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ مَلَائِكَتِي وَرُوحِي بِسَلَامِي، مِنْ أَوَّلِ مَا يَهْبِطُونَ إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ.

ثُمَّ قَالَ فِي بَعْضِ كِتَابِهِ: وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ

الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً[1]، فِي إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَقَالَ فِي بَعْضِ كِتَابِهِ: وَما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ، قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِه الرُّسُلُ، أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا، وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ[2]، يَقُولُ فِي الْآيَةِ الْأُولَى، إِنَّ مُحَمَّداً حِينَ يَمُوتُ، يَقُولُ أَهْلُ الْخِلَافِ، لِأَمْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَضَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَهَذِهِ فِتْنَةٌ أَصَابَتْهُمْ خَاصَّةً، وَبِهَا ارْتَدُّوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، لِأَنَّهُمْ إِنْ قَالُوا: لَمْ تَذْهَبْ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا أَمْرٌ، وَإِذَا أَقَرُّوا بِالْأَمْرِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ

(١) سورة الأنفال، آية ٢٥.
(٢) سورة آل عمران، آية ١٣٨

مِنْ صَاحِبٍ بُدٌّ[1].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ؟

فَقَالَ: مَا عِنْدِي فِيهِ شَيْءٌ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ تِسْعَ عَشْرَةَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، قُسِمَ فِيهَا الْأَرْزَاقُ، وَكُتِبَ فِيهَا الْآجَالُ، وَخَرَجَ فِيهَا صِكَاكُ الْحَاجِّ، وَأَطْلَعَ اللهُ إِلَى عِبَادِهِ، فَغَفَرَ اللهُ لَهُمْ، إِلَّا شَارِبَ الْخَمْرِ[2]، فَإِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ ثَلاَثَةٍ وَعِشْرِينَ، فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ، ثُمَّ يُنْهَى ذَلِكَ وَيُمْضَى.

(١) الكافي، للكليني، ج١، ص٢٤٨.
(٢) مسكر، بدله في البحار.

قَالَ، قُلْتُ: إِلَى مَنْ؟

قَالَ: إِلَى صَاحِبِكُمْ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَمْ يُعْلَمْ[1].

تبيين النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دليل الإمامة بسورة القدر

عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ يَحْيَى عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام كَثِيراً مَا يَقُولُ: مَا الْتَقَيْنَا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ عليه السلام التَّيْمِيُّ وَصَاحِبُهُ، وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَيَتَخَشَّعُ وَيَبْكِي، فَيَقُولَانِ: مَا أَشَدَّ رِقَّتَكَ بِهَذِهِ السُّورَةِ.

(١) بصائر الدرجات، ج١، ص٢٢١.

فَيَقُولُ لَهُمَا: إِنَّمَا رَقَقْتُ لِمَا رَأَتْ عَيْنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي، وَلِمَا رَأَى قَلْبُ هَذَا مِنْ بَعْدِي، يَعْنِي عَلِيّاً عليه السلام.

فَيَقُولَانِ: أَرَأَيْتَ، وَمَا الَّذِي يَرَى؟

فَيَتْلُو هَذَا الْحَرْفَ: تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيها، بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ، سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ.

قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: هَلْ بَقِيَ شَيْءٌ بَعْدَ قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، (كُلِّ أَمْرٍ)؟

فَيَقُولَانِ: لَا.

فَيَقُولُ: هَلْ تَعْلَمَانِ مَنِ الْمَنْزُولُ إِلَيْهِ بِذَلِكَ؟

فَيَقُولَانِ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ.

فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَهَلْ تَكُونُ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مِنْ بَعْدِي؟

فَيَقُولَانِ: نَعَمْ.

قَالَ: فَهَلْ تنزل [يَنْزِلُ] الْأَمْرُ فِيهَا؟

فَيَقُولَانِ: نَعَمْ.

فَيَقُولُ: إِلَى مَنْ؟

فَيَقُولَانِ لَا نَدْرِي.

فَيَأْخُذُ بِرَأْسِي، فَيَقُولُ: إِنْ لَمْ تَدْرِيَا هُوَ هَذَا مِنْ بَعْدِي. قَالَ: فَإِنْ كَانَا يَفْرَقَانِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ مِنْ شِدَّةِ مَا يَدْخُلُهُمَا مِنَ الرُّعْبِ[1].

(١) بصائر الدرجات، ج١، ص٢٢٥.

تبيين الإمام علي عليه السلام
لدلالة فعل (تنزّل) على الاستمرار

جاء في الاجتجاج عن الإمام علي عليه السلام، عندما جاءه أحد الزنادقة الذين يدّعون التناقض في آيات القرآن، في حديث طويل، جاء فيه، فيما يخصّ اطلاع الله الغيب على أوليائه، عبر تنزّل الملائكة في ليلة القدر، وتنبيه على دلالة الفعل المضارع في استمرار التنزّل على ولي الله المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف:

«... وَأَلْزَمَهُمُ الْحُجَّةَ بِأَنْ خَاطَبَهُمْ خِطَابًا يَدُلُّ عَلَى انْفِرَادِهِ وَتَوَحُّدِهِ، وَبِأَنَّ لَهُ أَوْلِيَاءَ تَجْرِي أَفْعَالُهُمْ وَأَحْكَامُهُمْ مَجْرَى فِعْلِهِ، فَهُمُ

الْعِبَادُ الْمُكْرَمُونَ، لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ.

هُوَ الَّذِي[1] أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ، وَعَرَّفَ الْخَلْقَ اقْتِدَارَهُمْ عَلَى عِلْمِ الْغَيْبِ بِقَوْلِهِ: عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً. إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ، وَهُمُ النَّعِيمُ الَّذِي يَسْأَلُ الْعِبَادَ عَنْهُ، لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْعَمَ بِهِمْ عَلَى مَنِ اتَّبَعَهُمْ مِنْ أَوْلِيَائِهِمْ.

قَالَ السَّائِلُ: مَنْ هَؤُلاءِ الْحُجَجُ؟

قَالَ: هُمْ رَسُولُ اللهِ، وَمَنْ حَلَّ مَحَلَّهُ مِنْ أَصْفِيَاءِ اللهِ، الَّذِينَ قَرَنَهُمُ اللهُ بِنَفْسِهِ وَرَسُولِهِ،

(١) في بعض النسخ: «و هم الذين».

وَفَرَضَ عَلَى الْعِبَادِ مِنْ طَاعَتِهِمْ مِثْلَ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا لِنَفْسِهِ، وَهُمْ وُلَاةُ الْأَمْرِ الَّذِينَ، قَالَ اللهُ فِيهِمْ: أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ، وَقَالَ فِيهِمْ: وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ، لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ.

قَالَ السَّائِلُ: مَا ذَاكَ الْأَمْرُ؟

قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: الَّذِي بِهِ تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي يُفْرَقُ فِيهَا كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ، مِنْ خَلْقٍ وَرِزْقٍ وَأَجَلٍ وَعَمَلٍ وَعُمُرٍ وَحَيَاةٍ وَمَوْتٍ وَعِلْمِ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْمُعْجِزَاتِ الَّتِي لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِلَّهِ، وَأَصْفِيَائِهِ وَالسَّفَرَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، وَهُمْ وَجْهُ اللهِ الَّذِي قَالَ: فَأَيْنَما تُوَلُّوا

فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ. هُمْ بَقِيَّةُ اللهِ، يَعْنِي الْمَهْدِيَّ، يَأْتِي عِنْدَ انْقِضَاءِ هَذِهِ النَّظِرَةِ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْراً، وَمِنْ آيَاتِهِ الْغِيبَةُ الِاكْتِتَامُ عِنْدَ عُمُومِ الطُّغْيَانِ وَحُلُولِ الِانْتِقَامِ، وَلَوْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي عَرَّفْتُكَ نَبَأَهُ لِلنَّبِيِّ دُونَ غَيْرِهِ، لَكَانَ الْخِطَابُ يَدُلُّ عَلَى فِعْلٍ مَاضٍ غَيْرِ دَائِمٍ، وَلَا مُسْتَقْبَلٍ، وَلَقَالَ نَزَلَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَفُرِقَ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ، وَلَمْ يَقُلْ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ، وَيُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ[1].

(١) الاحتجاج، الطبرسي، ج١، ص٢٥٢.

الأمر والحكم الذي ينزل من السماء ليس فيه اختلاف

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ. يَقُولُ: يَنْزِلُ فِيهَا كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ، وَالْمُحْكَمُ لَيْسَ بِشَيْئَيْنِ، إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ، فَمَنْ حَكَمَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ اخْتِلَافٌ فَحُكْمُهُ مِنْ حُكْمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ حَكَمَ بِأَمْرٍ فِيهِ اخْتِلَافٌ، فَرَأَى أَنَّهُ مُصِيبٌ، فَقَدْ حَكَمَ بِحُكْمِ الطَّاغُوتِ.

إِنَّهُ لَيَنْزِلُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ إِلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ تَفْسِيرُ الْأُمُورِ سَنَةً سَنَةً، يُؤْمَرُ فِيهَا فِي أَمْرِ نَفْسِهِ بِكَذَا وَكَذَا، وَفِي أَمْرِ النَّاسِ بِكَذَا وَكَذَا، وَإِنَّهُ لَيَحْدُثُ

لِوَلِيِّ الْأَمْرِ سِوَى ذَلِكَ كُلَّ يَوْمٍ، عِلْمُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الْخَاصُّ وَالْمَكْنُونُ، الْعَجِيبُ الْمَخْزُونُ، مِثْلُ مَا يَنْزِلُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنَ الْأَمْرِ.

ثُمَّ قَرَأَ: وَلَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ، وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ، ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللهِ، إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ[1]»[2].

روى الشّيخ الصّدوق في التّوحيد مسنداً حينما جاء متكلّم خراسان سليمان المروزي في مجلس المأمون، وجرت محاروة بينه وبين الإمام الرضا عليه السلام، جاء فيها:

---

(١) سورة لقمان، آية ٢٧.

(٢) الكافي، للكليني، ج١، ص٢٤٨.

قَالَ سُلَيْمَانُ: أَلَا تُخْبِرُنِي عَنْ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ فِي أَيِّ شَيْءٍ أُنْزِلَتْ؟

قَالَ الرِّضَا: يَا سُلَيْمَانُ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ يُقَدِّرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا مَا يَكُونُ مِنَ السَّنَةِ إِلَى السَّنَةِ مِنْ حَيَاةٍ أَوْ مَوْتٍ أَوْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ أَوْ رِزْقٍ، فَمَا قَدَّرَهُ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَهُوَ مِنَ الْمَحْتُومِ.

قَالَ سُلَيْمَانُ: الْآنَ قَدْ فَهِمْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَزِدْنِي.

قَالَ عليه السلام: يَا سُلَيْمَانُ، إِنَّ مِنَ الْأُمُورِ أُمُوراً مَوْقُوفَةً عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يُقَدِّمُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ وَيُؤَخِّرُ مَا يَشَاءُ، يَا سُلَيْمَانُ، إِنَّ عَلِيّاً عليه السلام

كَانَ يَقُولُ: الْعِلْمُ عِلْمَانِ: فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللهُ مَلَائِكَتَهُ وَرُسُلَهُ، فَمَا عَلَّمَهُ مَلَائِكَتَهُ وَرُسُلَهُ فَإِنَّهُ يَكُونُ وَلَا يُكَذِّبُ نَفْسَهُ وَلَا مَلَائِكَتَهُ وَلَا رُسُلَهُ، وَعِلْمٌ عِنْدَهُ مَخْزُونٌ لَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ، يُقَدِّمُ مِنْهُ مَا يَشَاءُ وَيُؤَخِّرُ مِنْهُ مَا يَشَاءُ، وَيَمْحُو ما يَشاءُ، وَيُثْبِتُ مَا يَشَاءُ، قَالَ سُلَيْمَانُ لِلْمَأْمُونِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا أُنْكِرُ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا[1].

تنزّل الأقدار على ولي الأمر

عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَمَّنْ رَوَاهُ، عَنْ هِشَامٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام: قَوْلُ اللهِ تَعَالَى

(١) كتاب التوحيد، ص٤٤٤

فِي كِتَابِهِ: ﴿فِيها يُفْـرَقُ كُلُّ أَمْـرٍ حَكِيمٍ﴾[1].

قَالَ: تِلْكَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، يُكْتَبُ فِيهَا وَفْدُ الْحَاجِّ، وَمَا يَكُونُ فِيهَا مِنْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ، أَوْ مَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ، وَيُحْدِثُ اللهُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، مَا يَشَاءُ، ثُمَّ يُلْقِيهِ إِلَى صَاحِبِ الْأَرْضِ.

قَالَ الْحَرْثُ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْبَصْرِيُّ: قُلْتُ: وَمَنْ صَاحِبُ الْأَرْضِ؟

قَالَ: صَاحِبُكُمْ[2].

---

(١) سورة الدخان، آية ٤.

(٢) بصائر الدرجات، ج١، ص٢٢١.

ما هو الروح؟

عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام، فَذَكَرَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْإِمَامِ إِذَا وُلِدَ، فَقَالَ عليه السلام: اسْتَوْجَبَ زِيَارَةَ[1] الرُّوحِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ.

فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، أَلَيْسَ الرُّوحُ جَبْرَئِيلَ عليه السلام؟

فَقَالَ: جَبْرَئِيلُ عليه السلام مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَالرُّوحُ خَلْقٌ أَعْظَمُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، أَلَيْسَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيها[2]»[3].

---

(١) في نسخة «س و ق»: زيادة.

(٢) سورة القدر، آية ٤.

(٣) - مختصر البصائر، ص٥٢.

ثواب سورة القدر وأعمال ليلتها

روى الشيخ الصّدوق عن جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: **مَنْ قَرَأَ ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ مُجْهِراً بِهَا صَوْتَهُ، كَانَ كَالشَّاهِرِ سَيْفَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ قَرَأَهَا سِرّاً كَانَ كَمُتَشَحِّطٍ بِدَمِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَنْ قَرَأَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ مَحَا اللهُ عَنْهُ أَلْفَ ذَنْبٍ مِنْ ذُنُوبِهِ.**

وروى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: مَنْ قَرَأَ ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ﴾ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ، نَادَى مُنَادٍ يَا عَبْدَ اللهِ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا مَضَى فَاسْتَأْنِفِ الْعَمَلَ[1].

وعن ثواب الأعمال: بسنده عَنِ الْفُضَيْلِ،

(١) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، الشيخ الصدوق، ص١٢٤.

وَزُرَارَةَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ حُمْرَانَ، أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾.

قَالَ: نَعَمْ هِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَهِيَ فِي كُلِّ سَنَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، فَلَمْ يُنْزَلِ الْقُرْآنُ إِلَّا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾، قَالَ: يُقَدَّرُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ كُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ إِلَى مِثْلِهَا مِنْ قَابِلٍ، مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ أَوْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ أَوْ مَوْلُودٍ أَوْ أَجَلٍ أَوْ رِزْقٍ، فَمَا قُدِّرَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَقُضِيَ فَهُوَ مِنَ الْمَحْتُومِ، وَلِلَّهِ فِيهِ الْمَشِيَّةُ.

قَالَ: قُلْتُ لَهُ: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، أَيَّ شَيْءٍ عَنَى بِهَا؟

قَالَ: الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا مِنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَأَنْوَاعِ الْخَيْرِ، خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ فِي أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَلَوْ لَا مَا يُضَاعِفُ اللهُ لِلْمُؤْمِنِينَ، لَمَا بَلَغُوا، وَلَكِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُضَاعِفُ لَهُمُ الْحَسَنَات[1].

(١) بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج٩٤، ص: ١٩.

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

• المقدّمة ٧

• رجل السّماء ٢٥

الفصل الأوّل
الدلالات الولائيّة والمهدويّة

• في سورة القدر ٣٣

• سورة القدر ٣٥

• بين إنزال الرّسالة وتنزّل الولاية ٣٥

◈ **المشهد الأوّل:**
الإنزال الرّسالي على رسول السماء ٣٩

• إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ ٣٩

• (إنّا) عظمة الفاعل ٤٠
• (أَنْزَلْنَاهُ) حقيقة المنْزَل ٤٤
• المُنزَل عليه (رسول السماء) ٤٩
• الظرف الزماني للإنزال (ليلة القدر) ٥٩
• الليلة المباركة ٦٣
• النزول الدفعي والمنجّم ٦٦
• خلاصة المشهد الأوّل ٧١

◈ **المشهد الثاني:**
التَّنزّل الولائي على رجل السماء ٧٥
• الإذن الإلهي في المشهدين ٧٧
• اتصال المشهدين ٧٩
• ليلة القدر الظرف الزماني ٨١
• العناصر الأساسية في المشهد ٨٤

• ليلة القدر، الزمان المتجدّد ٨٨
• (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ) ٩٦
• والرّوح ٩٨
• التنزّل على رجل السماء ١٠١
• على مَن تتنزّل الملائكة؟ ١٠٢
• البُعد البشري ١٠٩
• الإذن الإلهي ١١٥
• من كلّ أمر، المضمون السماوي ١١٧
• العلاقة بين رَجل السّماء والأمر ١٣٠
• سلام هي حتى مطلع الفجر ١٣٤
• المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف هو رَجل السّماء ١٤١

الفصل الثاني
الحقيقة المهدوية في سورة القدر
بروايات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام

- الحُجّة في سورة القدر ١٤٩
- احتجوا بسورة القدر ١٥٧
- والدليل على حياة الولي، والحاجة للمفسّر ١٥٧
- إنكار دلالات ليلة القدر جحود، ودلالات إنزال الملائكة والروح ١٦١
- الأسئلة الثلاثة عن التنزّل: مِمَّن، إلى مَن، ما هو؟ ١٦٥
- أهل البيت عليهم السلام وليلة القدر ١٦٧
- لها نور ساطع في قلب الأئمة عليهم السلام ١٧١
- دليل الإمامة في ليلة القدر، لابد للأمر من صاحب ١٧٢
- تبيين النبي في دليل الإمامة بسورة القدر ١٧٦

• تبيين الإمام علي لدلالة فعل (تنزّل) على الاستمرار ١٧٩
• الأمر والحكم الذي ينزل من السماء ليس فيه اختلاف ١٨٣
• تنزّل الأقدار على و لي الأمر ١٨٦
• ما هو الروح؟ ١٨٨
• ثواب سورة القدر وأعمال ليلتها ١٨٩
• محتويات الكتاب ١٨٧

للتواصل مع المؤلف

الموقع على شبكة الإنترنت

www.mosawy.com

البريد الإلكتروني

smamood@gmail.com

رجل السماء

المهدي المنتظر في سورة القدر

عندما تنفتح ببصيرتِك على سُورة القَدْر الشّريفة، فإنها ستقودك حتماً إلى مشاهدة حقيقة رجل السّماء، الإمام المهدي المنتظر (أرواحنا له الفداء) ماثلة متجلّية أمامك، وتراه مُشرِفاً على سكّان الأرض، تتنزّل عليه ملائكة الله العظام، بسجلّات الأقدار، بما يحدث في السّنة من خير وشر، وحياة وممات، وما يُكتب فيها من أرزاق، فهي سلام للعارف بالوجود الشريف للإمام المهدي المنتظر، والموقن بمحوريته الكونيّة، والمستمسك بعروته كوسيلة إلى الله، في تغيير تلك الأقدار التي تُكتب برعايته ومباركته، حتى مطلع فجرها المبارك.

ولكي تكون ممن تشمله ألطاف الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) عموماً، وفي ليلة القدر بالخصوص، فتعال معي لنتدرّج في القول والبيان.